سجل تحت رقم
الجرد
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة بوبكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

قصر الشلالة الظهرانية

دراسة تاريخية و معمارية

مذكرة جامعية لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية

إعداد الطالب:
بوحفص سيرات

إشـــــــراف:
د.عبد الحق زريوح

لجنة المناقشة

-أ.د.عبد الحميد حاجيات:أستاذ التعليم العالي/جا.تلمسان	رئيساً
-د.عبد الحق زريـــــوح:أستاذ محاضـــر/جا.تلمسان	مشرفًا
-د.الغوثي بسنوســـــي:أستاذ محاضـــر/جا.تلمسان	عضواً
-د.بودوية مبخـــــوت:أستاذ محاضـــر/جا.تلمسان	عضواً
د-فايـــزة زرقـــــــة:أستاذة محاضـــرة/جا.تلمسان	عضواً

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

السنة الجامعية :1429ه- 2008م

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

إلى روح والدي رحمه الله و إلى والدتي العزيزة التي سهرت على تربيتي وتعليمي.

إلى الروح الطاهرة للأب محمد بن نيحي .

إلى أمي العزيزة الحرة وأولادها، وبناتها، وإلى نور الدين بفرنسا.

إلى زوجتي العزيزة التي سهرت على إنجاح هذا العمل و إلى ابنتي الغالية دارين

إلى الأخ محمد وزوجته ،وأبنائه عبد السلام وسارة وحفيظة وأم كلثوم وصليحة

والأخت فاطمة وزوجها بلقاسم وأبنائهما .

إلى الأخت الزهرة رحمها الله وبنات أختي زليخة ،فتيحة والزهرة وزليخة.

شكر وتقدير

أتقدّم بجزيل الشكر والثناء إلى الدكتور" عبد الحق زريوح " المشرف على هذه المذكرة والذي رغم مشاغله العلمية العديدة لم تمنعه من متابعة هذا العمل فله منّي جزيل الشكّر والعرفان .

كما أتقدّم بالشكر إلى رئيس قسم الثقافة الشعبية وكذا أساتذة القسم الذين درسوني ،ورئيس قسم التاريخ د.بودواية مبخوت وأساتذة وعمال ثانوية الإخوة الخمسة حميدات نـدير عطاوي،وعمر كابوية، والمكتبية فاطمة ،دون أن أنسى الجهد الذي بذله أ.رافعي عبد الله وأ.عبد المجيد مباركي و المهندسين عبد الله تاسفاوت و مير بوجمعة و سلامي إبراهيم وستيت مصطفى وسفيان جن البرود وبريشي درويش وكل زملائي في قسم الثقافة الشعبية .

وأنوّه بالمجهودات التي قام بها كل من زميلي بالشلالة يوسف جبري وأبناء عمّه المهتمين بالثقافة والآثار ،الحبيب جبري و الطاهر وخاصة الشيخ بلية لعرج الذي زودني بالمخطوط حول تأسيس الشلالة الظهرانية.

مقدمة

نشأت العمارة كمعرفة بسيطة في البناء في أبسط أشكاله ،ثم تطورت حتى كونت مجموعة من الفنون المعمارية المختلفة ،وفنّ العمارة من أهمّ مظاهر الحضارة لأنّها مرآة تعكس آمال وتطلعات الشعوب ،وقدراتها العلمية وابتكاراتها .ومن الثابت أنّ العمارة كانت دائما الصورة الحيّة والصادقة لحضارة الإنسان وتطوره وانعكاسا لمبادئه الروحية على حياته المادية من خلال تخليد الإنسان للكتابات والنقوش الصخرية والزخارف المختلفة وقد شمل الفنّ المعماري على عدة أنواع من العمارة تفنّن العرب والمسلمون في أشكالها، المدنية، والدينية، والعسكرية.

إنّ فنّ العمارة هو بمثابة رابطة الحاضر بماضي المكان وأصالته، وقِيّمه ذلك أنّ التطّور العمراني هو رمز لتطور الإنسان عبر التاريخ وهو يعبر عن القدرات التي توصل الإنسان إليها في التغلب على بيئته المحيطة به .ولهذا ، فالتاريخ الإنساني والتراث المعماري في منطقة من مناطق الجزائر كالشلالة الظهرانية يعد ذخيرة لا تقدر بثمن ،يصعب إغفالها ،فكيف بتركها؟، أو تجاهلها؟.

إنّ هذا الإرث الحضاري الإنساني لم ينل حظه من الدراسة والبحث فالعمارة لم تدخل مجال الدراسات الأكاديمية العلمية بشكل رسمي إلاّ حديثا في المجتمعات العربية على الرغم من استمرار إنتاجها عبر كل العهود التاريخية هذه الدراسة تمثلت فيما قام به المستشرقون ضمن الحملات العسكرية كحملة الجنرال كافينياك Cavignac لقصور الجنوب الوهراني والتي كانت مجرد دراسات سطحية وصفية ،ولم يكن الغرض من هذا الكشف عن تاريخ

المنطقة ،أو خدمته وتبيانه بموضوعية ذلك أنّ الذاتية طغت على هذه الأبحاث إن لم نقل العنصرية فكانت مجرد غطاء للجانب العسكري ،الهدف من ورائه تسهيل المهمة على المستعمر من خلال الكشف عن أسراره، ومعرفة خصوصية هذه الشعوب ،لذلك نرى أنّ الكثير من المستشرقين عملوا على ضرب التراث العربي والإسلامي وتشويه صورته وإنكار دورَ شعوبه وإسهامهم بالعطاء في جميع الميادين إضافةً للحضارة الإنسانية، باستثناء بعض الدراسات القليلة .

ومن هنا فإنّ منطقة الشلالة وباقي القصور المجاورة ما تزال الدراسات التاريخية والمعمارية ناقصة حولها فهي تمثل أرضا خصبة لكل من يريد أن يبحث على الرغم من بعض الإشكالات التي واجهتنا وتواجه كل باحث في هذا الميدان ،ومنها الإشكال التاريخي ،أي صعوبة المراحل الزمنية التي شيّد أثناءها قصر الشلالة الظهرانية وما هي الهجرات التي تعرضت لها المنطقة؟ و مَنْ هم السكان الأصليين ؟ وكذلك الأحداث التي مرّ بها القصر. لأنّ المعلومات المستقاة هي من الرحّالة و قد تكون صحيحة أو كاذبة، أو اللجوء إلى الرواية الشفوية وما ينتابها من ذاتية أو سعة الخيال أو حتى الطابع الخرافي المميز لها.

أمّا الإشكال في الجانب المعماري فيتمثل في معرفة مراحل البناء التي مرّ بها القصر، وكذا العناصر الأصلية والجديدة التي أضيفت مع مرور الزمن ثم معرفة دواعي بناء القصر هل هي عمرانية بحتة، أو اجتماعية، أو تجارية، أو دفاعية؟.

إنّ الزيارة التي قادتنا إلى قصور المنطقة ،مغرار التحتاني وعسلة وتيوت وسفيسفة وبوسمغون والشلالة الظهرانية، والتي وقع فيها اختياري على قصر الشلالة الظهرانية جعلتنا نطرح عدة تساؤلات أهمها :ماهو تاريخ الشلالة الظهرانية؟ومن هم السكان الأصليون ؟وماهي المراحل التاريخية التي مرّت بها الشلالة الظهرانية؟وماهو النمط الذي ينتمي إليه؟ماهي خصائص العناصر المعمارية المشكلة للقصر، وما مدى تشابهها ،أو اختلافها مع عناصر القصور المجاورة؟كيف تعامل أهل الشلالة مع البيئة المناخية؟وماهي تأثيراتها على الجانب المعماري؟هل العمارة في قصر الشلالة قديمة أم أتى بها الفاتحون ؟أم أنّ أشخاصا استقروا في المنطقة وظهر هذا الأسلوب في بلادهم وبعد استقرارهم نقلوا إليها أسلوب بلادهم؟ أم تكون العمارة في الشلالة ابتكاراً محلياً السبب الرئيسي فيه هو العامل المناخي خصوصا وأنّ مخططات هذه المباني في القصر ومواد بنائها جاءت متكيفة بشكل كلي مع المناخ السائد في المنطقة.

كان الدافع كذلك لاختيار هذا الموضوع من أجل التعريف بالقصر خاصة والمنطقة عامة ،والإسهام بما أوتيت في إحياء تراثها وتاريخها العريق لعله أن يكون بداية لأبحاث أخرى سواء من قِبَلِي ، أو من باحثين آخرين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

منهج البحث:اعتمدت في هذا البحث على جانبين أساسيين وهما:

1-**الجانب النظري**:وذلك بجمع المعلومات التي لها علاقة بالبحث من قريب أو من بعيد والمتوفرة في المراجع والمصادر وكذا الرواية الشفوية.

2-**الجانب الميداني**:وذلك من خلال زيارتنا الميدانية لقصور المنطقة عامة وقصر الشلالة خاصة لإبراز أهم العناصر المعمارية التي تميز القصر سواء الدينية أو المدنية ،أو العسكرية.حيث قمنا بأخذ بعض القياسات لعدة عناصر معمارية والتقاط بعض الصور للقصر،وكانت لنا فرصة لقاء بعض الذين سكنوا القصر قبل 1967م أي قبل الزلزال الذي ضرب القصر وأدّى إلى هجرة السكان منه.وكذا برئيس الجمعية الثقافية السيد جبري الحبيب الذي زودنا ببعض الوثائق .كما قمنا بزيارة إلى مديرية الثقافة بالبيض إذ وجدنا الدعم من مديرها السيد كمال وكذلك مكتب الدراسات المعمارية بالبيضbêta.

دون أن ننسى زيارتنا لمتحف زبانا بوهران ومصلحة الأرشيف ،كما اعتمدنا على الخرائط.

خطة البحث: قَسَمْنَا الموضوع إلى مقدمة ومدخل وأربعة فصول.

أ-مقدمة:تناولنا فيها التعريف بالموضوع وأهم إشكالياته وكذلك أسباب اختيارنا للموضوع، ومنهج البحث فيه .

ب-المدخل :التعريف بالقصر عامة ثم تأسيس قصر الشلالة الظهرانية وكذلك الموقع الإداري والجغرافي.

ج-الفصل الأول: خصصناه للدراسة التاريخية من قبل الميلاد إلى الفترة الاستعمارية الفرنسية.

د- الفصل الثاني:العمارة الدينية وفيها أبرزنا أهمّ العناصر المعمارية للمسجد كالمحراب والمنبر والمئذنة.كما قمنا بدراسة بعض الأضرحة.

ه- **الفصل الثالث**:العمارة المدنية وفيها أظهرنا كيفية بناء المساكن والعناصر المكونة لها وكذلك دراسة الشوارع والأسواق.

ز-**الفصل الرابع**:العمارة العسكرية وتمّ فيها دراسة المداخل والأسوار والأبراج.

و-**خاتمة**: ذيلنا بحثنا بخاتمة جمعنا فيها خلاصة النتائج التي توصلنا إليها.

وقد عمدنا في بحثنا هذا أن تكون الخرائط والمخططات التوضيحية والصور الفوتوغرافية ضمن المتن.

وفي الأخير أملنا كبير أن نكون قد أوفينا هذه الدراسة حقّها.

والله ولي التوفيق.

بوحفص سيرات :

في :2008/02/15

المدخل

في الجزء الغربي من الأطلس الصحراوي تمتد جبال القصور من الحدود الجزائرية المغربية إلى جبل عمور ،و تقع بين الهضاب العليا والصحراء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، نجد قصور "بني ونيف ،مغرار التحتاني وصفيصفة وعسلة و عين الصفراء و تيوت و الشلالة الظهرانية و الشلالة القبلية و مغرار الفوقاني و بوسمغون و أربا الفوقاني و أربا التحتاني والأبيض سيد الشيخ و سيدي الحاج بن عامر و كراكدة و مشرية الصغيرة و بوعلام و سيدي أحمد بلعباس و المايعة وخلاف و الغسول و بريزينة و سيدي تيفور و سيدي سليمان و الكديان و ستيتن[1].إنّ سبب تكون هذه القصور يعود إلى عدة أسباب سياسية واقتصادية وبيئية نتيجة كثرة المياه وهذا هو السبب الرئيسي لنشأة قصر الشلالة الظهرانية الذي سبق قصور أخرى قديمة وهذا ما تبينه الآثار الموجودة على بعد كيلو متر واحد أما القصر الحالي حسب الرواية الشفوية فيعود إلى الأدارسة الشرفاء والذي تأسس في القرن الثاني عشر حوالي 1180 من قِبَلِ مولاي يوسف من الجيل الثاني عشر بعد إدريس الثاني .

إنّ مولاي يوسف هو جَدُّ الأشراف الشلوليين صاحب المناقب المشهورة لّما انتقل من مدينة فاس إلى البقاع المقدسة بنية الحجّ والتبرك بالحرمين الشريفين مارا على بلاد الصحراء فلما وصل إلى بلاده قصد السير إلى ناحية الأرض المسماة الشلالة فلما نفذ ما لديه هو وأصحابه من ماء بدؤوا يبحثون عنه ويفتشون عليه

---

[1] **François Cominardi,**Au cœur des monts des ksours,le ksar de chellala dahrania,in Tradition et Modernité ,Revue d'architecture et d' urbanisme,N2 Alger,1995,p45.

يمينا ويسارا فلما اجتمع بعضهم مع بعض قال مولاي يوسف لمولاي عَلِي الحنشي هل وجدت ماءً في تفتيشك عليه فقال مولاي الحنشي وجدت قدر حنيش من الماء فمن ثمّ سمّي علي الحنشي وصارت ذريته يقال لهم الحنشيون ثم قال مولاي علي الحنشي لمولاي يوسف هل وجدت شيئا من الماء في طريقك فقال له وجدت قدر تشليل اليدين فمن ثمّ سميت بلدته بالشلالة وسميت ذريته الشرفاء الشلوليين ثم شربوا الماء وسقوا دوابهم وارتحلوا قاصدين بيت الله الحرام فلمّا أكملوا حجهم رجعوا على طريقهم إلى أن وصلوا الموضعين المذكورين وهما عين الحنشي وعين يوسف وهي عيون مازالت موجودة إلى يومنا هذا ، فاتخذ كل واحد منهما عينه ليبني عليها بلدته [1] و هذا موجود في المخطوط عند أحد شيوخ القصر والمهتم بتاريخ الشلالة وهو السيد بلية الحاج لعرج.

انظر الوثيقة في الصفحة الموالية

---

[1]-مخطوط مجهول يحتوي على 30ورقة.

الورقة 6–7 من المخطوط

الموقع الجغرافي :

تقع الشلالة الظهرانية في قلب جبال القصور على بعد أربعة وسبعين (74)كلم من العين الصفراء وأربعين ومائة(140)كلم عن البيض (تابعة إداريا لولاية البيض).

إنّ الشلالة تحتل موقعا استراتيجيا ،إذ تقع على طول الأطلس الصحراوي وتعدّ همزة وصل بين الشمال والجنوب عن طريق سيراط الخيل شمالا وبوسمغون جنوبا ، يجاورها ثلاث قصور قديمة ،قصر عسلة بسبعة عشر (17)كلم والشلالة القبلية بستة(6)كلم وقصر بوسمغون بتسعة عشر(19)كلم .أما الموقع الفلكي فالشلالة تنحصر بين 2-33°شمال خط الاستواء و0-7°غرب خط غرينتش.

بني قصر الشلالة بقرب المنابع المائية التي تعدّ شرطا للاستقرار يقول سالم عبد العزيز :"أحسن مواضع المدن أن تجمع بين النهر الجاري والمحراث الطيب واعتدال المكان والمحطب القريب والسور الحصين" [1].إن الشلالة تتوفر على منابع مائية تتمثل في عدة عيون تجري لحد اليوم منها عين يوسف وعين شديري كما أنّها منطقة تتوفر على أشجار النخيل وأشجار أخرى وهذا ما ساعدهم في بناء القصر وفي الوقت نفسه تعدّ هذه الأشجار وقوداً لطهي الطعام و التدفئة يقول ابن الأزرق:"الشجر للحطب والخشب لوقود النيران والمباني وكثيرا ما يستعمل ضروريا وكماليا"[2] بالإضافة إلى وجود طرق مرور القوافل التجارية التي وجدت

---

[1] -**السيد عبد العزيز سالم** ،تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي ،دار النهضة العربية بيروت 1981.ص-ص441-442.

[2] -**ابن الأزرق** ،بدائع السلك في طبائع الملك ،دار صادر ،بيروت ،ص08.

في الشلالة الظهرانية محطات للتزود والاستراحة شكلت هذه المحطات فيما بعد تجمعات سكانية منها قصر الشلالة الظهرانية .

والعامل الجغرافي من العوامل الطبيعية التي تعكس لنا غنى التشكيل المعماري في منطقة ما ، وافتقاره في منطقة أخرى والذي يتعلق بالمزايا التي أعطتها لموقع ما دون الآخر ، فهناك مناطق ساحلية ومناطق تغطيها الغابات ومناطق أخرى صحراوية ، فكل موقع منها نجده يفرض أسلوباً معمارياً خاصا ليتلاءم مع هذه الطبيعة في التخطيط العام ، وشكل المبنى وعمارته .

هناك أيضاً العامل الجيولوجي ومواد البناء المحلية، ونعني بذلك غنى تربة المنطقة بالمواد الأولية والتي استطاع الإنسان استخدام المناسب منها لتشييد مبانيه سواء كانت من التربة أو من مواد منتجة منها [1] .

هذه النباتات في أعمال البناء كمدينة البصرة التي بناها " عتبة بن غزوان" عام أربعة (14)هـ ، التي بنيت منازلها من القصب وكانوا يترعون هذا القصب عند الحروب ، ويعيدون بناءه مرة أخرى [2] .

كذلك استخدم الإنسان التربة الطّينية بعد إعدادها وذلك بصبّها في قوالب ليصنع منها الطوب اللبن ثم يتمّ البناء ، كما أنّ الإنسان استخدم الأخشاب في إقامة الأسقف و الأعمدة كاملة وكان أيضاً يُستخدم كركائز أساسية للمبنى ،

---

[1] - **ألفت يحيى حمودة**، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة ، الدار المصرية اللبنانية،1987م، ص- ص47 -50.

[2] - **محمد عبد الستار عثمان**، المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988) ص -ص 65-66 .

وبعد استخدامها بهذه الكيفية تستعمل مادة أخرى لملء المسافات التي بين هذه الدعائم البنائية [1] .

إنّ كلّ هذه العوامل لها تأثيرها على التخطيط العمراني وعلى أشكال المباني وعلى العنّاصر المعمارية المتمثلة في الحوائط ، والفتحات ، والأسقف ، والهيأة التي يجب أن يكون عليها كل عنّصر منها بحسب الإقليم المناخي الموجود فيه وعلى اعتبار أنّ منطقة الشلالة تتميز بدرجة حرارتها المرتفعة ، والتدني في مستوى نسبة الرطوبة ، وسقوط الأمطار فكان لذلك كلّه الأثر الواضح على التخطيط العمراني وعلى شكل المبنى عامة .

تعريف القصر:

يعرف القصر لغويا بأنّه هو المترل، وقيل كل بيت من حجر قرشية [2] ويقال قصر المرأة بمعنى حبسها مصداقا لقوله تعالى :حُورٌ﴿ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [3].فالحُرُمْ أي النساء كانت تحبس في الدار ،و قد يقصد بالقصر مكان تواجد الخليفة وأسرته إذ نجد أن الملوك والأمراء تنافسوا في بناء القصور وتزيينها وزخرفتها ،وفي اللغة الفرنسية يقال **château** وهي بناية كبيرة محصنة يقطنها الأثرياء .

---

[1] - **ألفت يحي حمودة** ،المرجع السابق ،ص- ص 51-56 .

[2] -**علي الحملاوي** ،قصور منطقة جبال عمور (السفح الجنوبي) ،من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري (16م-19م)،دراسة تاريخية أثرية ، مخطوط دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ،جامعة الجزائر، ص 55.

[3] -**من سورة الرحمان** الآية72.

لكن هل القصر محور الدراسة يشبه هذا النوع من القصور ؟إنّ قصر الشلالة يختلف تمام الاختلاف عن ما قلناه بشأن القصر الخاص بالملوك والأمراء فهو عبارة عن قرية صغيرة محصنة بسورٍ عالٍ ومدعم بأبراج بها مبانٍ متراصة ومتلاحمة من الحجارة والطين ينتمي إلى العمارة الطينية أو ما تسمى بالعمارة التقليدية يسكنه مجموعة بشرية، تربطها قرابة دموية، به مرافق ضرورية كالمسجد الذي يتوسط القصر ، وساحة تجمع الأعيان لمناقشة قضايا تخصّهم، و دكاكين للتجارة بالإضافة إلى وجود السوق ،والحمام الذي كان يشغل بطريقة تقليدية إضافة محكمة لفض المنازعات وبالتالي شكلّت هذه القرية قصرا أي بناءً محصنا وبه جميع المرافق التي تؤدّي وظائف مختلفة . إنّ القصر موجود بالقرب من المجاري المائية محاط ببساتين تعتبر مصدر رزق للسكان.

الفصل الأول:

الدراسة التاريخية

المبحث الأول :الشلالة الظهرانية ما قبل التاريخ

المبحث الثاني : الشلالة الظهرانية في العهد الروماني

المبحث الثالث: الشلالة الظهرانية و الفتح الإسلامي

المبحث الرابع : الشلالة الظهرانية في العهد العثماني

المبحث الخامس: الشلالة خلال الاستعمار الفرنسي

الدراسة التاريخية

المبحث الأول :الشلالة ما قبل التاريخ .

لقد عرفت منطقة القصور الواقعة غرب الأطلس الصحراوي فترات تاريخية متعاقبة مما يصعب مهمة معرفتها ، ولعلّ منطقة الشلالة الظهرانية عيّنة من هذه المناطق التي شهدت نزوح قبائل عديدة استطاعت أن تنصهر مع بعضها البعض ، شكلت تجمعات سكانية ،وكما تثبت الوقائع التاريخية أنّ الفترات التي مرّت بها المنطقة تراوحت بين المدّ والجزر ،فهي فترات انتابها استقرار ،وأخرى كانت مليئة بالفتن ،والحروب . فماهي أهمّ الأحداث التاريخية التي عرفتها الشلالة الظهرانية ؟

لقد تضاربت النظريات حول أصول وأعراق السكان الذين عاشوا في منطقة القصور.لكن من الواضح أن أعراقا مختلفة أتت من هجرات متعددة انصهرت وكونت مع مرور الزمن سلالة بربرية ، وهذا ما تبيّنه الرسومات الصخرية و الآثار الموجودة أنّ أصحابها كانوا صيادين أشبه بالرحّل يقطنون أكواخا حجرية ،أو كهوفا جبلية .ويعود أقدم تاريخ لهذه الرسوم الصخرية إلى الألف السادسة قبل الميلاد، وهي تمتد في المنطقة ،وجنوب سلسلة الأطلس الصحراوي مما يدلّ على تمركز بشري كبير، عرفته خلال العصر الحجري الحديث، وهذه النقوش والرسومات الصخرية لا تزال الدراسات والأبحاث قائمة حولها.

"لقد كان للحملات العسكرية الفرنسية الأثر البالغ في الكشف عن هذه الرسومات ،والنقوش الصخرية ...إنّ الاكتشافات لم تكن إلاّ نتيجة لتوغل الجيوش الفرنسية لمنطقة غرب وهران"[1]

هذا الاعتقاد كان لجاكوا فليكس الذي يرجع له الفضل في أنّه الأوّل الذي اكتشف هذه المحطات الصخرية خاصة محطة تيوت.لكن نجد أنّ محمد الطاهر العدواني له نظرة مغايرة تماما،إذ يرجع الفضل في الكشف عن هذه الآثار لسكان المنطقة ،ذلك لأنّ "الرسومات الصخرية المنتشرة عبر جبال ومرتفعات وشعاب الصحراء الكبرى قد عرفت محاولات عديدة لقراءتها وتقديم تفسيرات تاريخية و حضارية لها من طرف الفرنسيين الذين اهتموا بها ولا نقول اكتشفوها كما ينسبون هم ذلك إلى أنفسهم حيث إنّه من المعلوم أنّ مكتشفيها الحقيقيين هم سكان المنطقة الذين أرشدوهم إليها ،هذا إذا كان ثمة اكتشاف على الإطلاق"[2].وبصدد ذكر هذه النقوش والرسومات الصخرية نشير إلى الكبش الذي يوجد بالقرب من قرية الوديان بنواحي البيض والذي اكتشف كما يعتقد الفرنسيين من قبل الباحث فلا مند flamand وأشار إليه لأوّل مرة للعالم يوم 1899/06/12 في مراسلة لأكاديمية البحوث والفنون الجميلة بباريس.

---

[1] – **FELIX JACQUOT,** expédition du général cavignac dans le Sahara algérien , avril et mai, (paris 1847),p.23.

[2] –**محمد العدواني** ،الجزائر في التاريخ منذ نشأة الحضارة (ج1 الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب الطاهر ، ،1984)،ص246

إنّ رسومات الكبش التي تكثر بالمنطقة ترمز لإله القوة و النماء ويمثل لإله أمون في الديانة المصرية القديمة ، وأنّ وجود هذا لإله بالحضارة المغربية القديمة يدلّ على وجود اتصال حضاري ، وتأثير ديني على سكان المغرب من لدن مصر القديمة ،إذ يذكر محفوظ قداش أنّ "لإله الذي عُبِدَ من طرف كل البربر هو بالتأكيد الإله الكبش.فقد ظلّ الكبش إله الشمس راسخا عدة قرون وعثر على مسلات منقوشة و تماثيل صغيرة ذات الكبش الإلهي في كل شمال إفريقيا".[1]

كما تنتشر في ولاية النعامة والبيض بما في ذلك الشلالة الظهرانية مقبرة الإنسان القديم (التمولوس) بأعداد كبيرة وتعرف لدى العامة بديار بني عامر وتوجد على أشكال هندسية مختلفة منها الدائرية والبيضاوية ،مغطاة بالحجارة التي تم تكديسها فوق القبر من كل الجهات ، وتبين طريقة الدفن أنّ الإنسان في تلك الفترة كان يعتقد في الحياة بعد الموت ، فالميت كان يدفن في وضع جنيني و معه أدواته التي كان يستعملها في حياته اعتقادا منهم إلى حاجة الميت إلى أدواته .هذا يدلّ على الاتصال الحضاري ، وتشابهه مع الحضارة الفرعونية لأنّ الفراعنة القدامى كانت تدفن معهم أدواتهم ،وهذا مادلّت عليه الحفريات في الأهرامات ،وفي هذا الشأن يشير محمد الطاهر العدواني"..هذا ومعلوم أنّ هناك تشابها كبيرا في مضامين ، وأشكال ، وتقنيات الرسوم الصخرية ، في الصحراء الجزائرية ،وبين الرسوم جنوب مصر ، من جهة ،وبين هذه الرسوم الصخرية في عموم الصحراء الكبرى أي من شواطئ البحر الأحمر

---

[1] –**محفوظ قداش** ،الجزائر في العصور القديمة ، ترجمة صالح عباد،الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،1993،ص33.

إلى شواطئ المحيط الأطلسي"[1].هذا وإنّ كان مَنْ رأى بأنّه لا يوجد اتصال حضاري على اعتبار أنّ حضارة الجنوب الغربي أقدم من الحضارة الفرعونية لكن حسب اعتقادي أنّ التأثير الحضاري ليس مرتبطاً بعامل الزمن ،فالحضارة اليونانية نجدها قد سبقت الحضارة الإسلامية في الظهور ،إلا أنّ المسلمين استطاعوا أن ينهلوا من اليونان في جميع المجالات لكنهم أبدعوا.

إنّ هذه الرسومات الصخرية لم تلق العناية الكافية ، والبحث الوافي بالرغم من أنّه اكتشف من هذه الرسوم وإلى سنة 1980 ،ما يزيد عن 30000 مشهد ورسم تبيّن من خلالها ماضي الأقوام ، والشعوب التي تعاقبت على الصحراء الكبرى، ويوميات أصحابها فهي سجل تاريخي عريق يقول كارل شتر بيتر:"لو كانت هذه الرسوم الصخرية جمعت ،وصنفت حسب أساليب الرسم فيها ثم قسمت إلى مجموعات .فلعلّها ستكون أوّل كتاب مصور للتاريخ."[2]

وما يمكن الإشارة إليه أنّه توجد بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري حروف لكتابة اتفق على تسميتها بالحروف الليبية ،فهي حروف بربرية عرفها سكان إفريقيا الشمالية وهي اللغة التي تفرعت عنها البربرية المنطوق بها في الجزائر إنّ اللغة الليبية حدد العلماء حروفها بإثنين وعشرين 22 حرفا ، وفي هذا الصدد يقول شارل أندري جوليان :"عرف البربر كتابة لايزال أصلها غامضا أحصيت منها الآن 1125 إشارة .البعض منها يشبه إشارات الكتابة الحالية للتوارق".أما لوت فلاحظ أن الحروف الليبية بربرية للجنوب الغربي "مختلفة

---

[1] –**محمد الطاهر، العدواني**، المرجع السابق، ص214

[2] –**المرجع نفسه** ، ص215.

جدا عن التيفيناغ الحالي وليست مفهومة لا من طرف الطوارق ولا من قِبَلِ دارسي لغة البربر".[1]

إنّ اللغة البربرية التي يتكلمها أهالي الشلالة الظهرانية هي اللغة الليبية إذ يؤكد محفوظ قداش"كثيرة هي النقوش الليبية التي تقدم لنا معلومات عن اللغة القديمة التي كان يتكلمها أسلافنا .من هذه اللغة تفرعت البربرية المنطوق بها في جبالنا بالقبائل و الأوراس و لدى التو ارق.حروف التيفيناغ التوارقية متفرعة كذلك عن الحروف الليبية" [2].هذا يدلّ على تشابه بعض المناطق في الحروف الليبية ، واللغة المنطوقة .هذا وتوجد في منطقة الجنوب الغربي الإشارات الليبية البربرية مرسومة على جداريات ،فهي موجودة في مغرار التحتاني، منطقة الشلالة تازينة عسلة بوسمغون،ناحية اربوات.هذه المناطق إلى حد اليوم منها مازال محافظا على اللهجات الشفوية،والمتوارثة من جيل لآخر.

إنّ الحضارة التي ميزت منطقة الجنوب الوهراني هي الحضارة القفصية الوهرانية التي انتشرت انتشارا واسعا وصلت فيه إلى الصحراء الكبرى، و إلى معظم مناطق شرق إفريقيا ، وغربها .يذكر أندري جوليان أنّ الأفارقة تركوا "ما قبل التاريخ رسومات صخرية كثيرة ، والتي يسميها الأهالي بالحجرة المكتوبة ،توجد في عدة مناطق من إفريقيا الشمالية ،كانت منذ أربعين سنة هدف أبحاث فلامند flamand ، وهي تعود إلى العصر الحجري الحديث من نوع قفصي وهراني، لا يتجاوز عمرها الألف الثالثة قبل

---

[1] –**خليفة بن عمارة**، لمحة تاريخية عن الجنوب الجزائري الأعلى من الأصول إلى ظهور الإسلام(5000ق م.إلى القرن الثامن)، ترجمة بوداود عمير ،مكتبة جودي عامر ،وهران، بدون تاريخ ،ص26.

[2] –**محفوظ، قداش**،مرجع سبق ذكره،ص32.

الميلاد."[1] من هنا يتبيّن أنّ ظاهرة الرسومات الصخرية في منطقة الأطلس الصحراوي تمتد إلى غاية المغرب الأقصى ، ومصر مما ينمّ عن وجود حضارة واحدة ، وهذا يتفق أيضا مع الرسومات الصخرية في منطقة الشلالة .

إنّ الآثار الموجودة بالمنطقة تؤكد بأنّها بربرية تعود إلى العصر الحجري الحديث،ذلك أنّ هناك اكتشافات العظام ،و الأدوات ،و الأسلحة تدلّ على أنّ الشلالة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ،كما تبرز أصلها البربري.يقول رشيد الناضوري:"...وهناك ناحية أخرى هامة ،وهي أنّ العنصر البشري المغربي القديم الذي واجهه الرحالة والكتاب الأوائل ، الفينيقيون و اليونانيون كان البربر وأنّ العناصر المسماة بالبربر تمتد في تحركاتها عبر الصحراء الكبرى من الشرق إلى الغرب ويغلب عليها الانتماء إلى عائلة اللغات الحامية المختلطة أحيانا بعائلة اللغات السامية ...وكانوا لا يزالون في ذلك الوقت في مرحلة العصر الحجري الحديث ،وذلك لأنّ المغرب الداخلي الصحراوي ، والجبلي كانت لا تزال تسكنه قبائل البربر."[2] لكن إذا تأكد أنّ سكان القصور ومن بينهم سكان الشلالة الظهرانية من أصول بربرية فأي عنّصر بربري ينحدر منه سكان الشلالة ونحن نعرف أنّ هناك طوائف ، وأصنافا في البربر، منهم البدو ، والحضر ، البتر ، والبرانس؟.

---

[1]- **CHARLES ANDRE JULIEN**,histoire de lafrique du nord des origines a la conquete arabe.2eme edition-snede-1980-p-24.

[2]-**رشيد الناضوري** ، المغرب الكبير ، العصور القديمة أسسها التاريخية ، الحضارية،والسياسية،ج1، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981،صص137-235.

إنّ البربر الذين كانوا يقطنون منطقة القصور يرجع أصلهم إلى البربر الجيتول ، وهي تسمية أطلقها الرومان على القبائل الساكنة في الصحراء ، فهي قبائل ضاربة فيما بين المحيط الأطلسي غربا حتى فزان شرقا ، فهي متعددة الأصول جمعها إطار جغرافي متجانس نسبيا يتمثل في السهول ، والمرتفعات الجنوبية ، وحوافي الصحراء أي الإقليم الواقع بين التل ، والصحراء ، المتميز بالاقتصاد الرعوي ، ومن ثمة اشتهر الجيتوليون في تاريخ المغرب القديم بأنهم رعاة نموذجيون ، وهذا ما يؤكده الكاتب الفرنسي الأصل ، والذي اهتم بدراسة المنطقة التي عاش فيها وقتا طويلا إنه الكاتب فرونسوا كومينارديcominardi Fran.çoisإذ يقول:"إنّ أصل القصور يعود إلى فجر التاريخ .إنّ البربر الجيتول قد اختاروا حياة البداوة ، والرعي في الهضاب العليا ، وتضاريس الصحراء ، والأطلس الصحراوي ، والبعض الآخر حياة الزراعة في بعض مواقع الأطلس الصحراوي ، إذ استفادوا من ينابيعها المائية ، وتربتها الخصبة السوداء التي تكونت في عصر البلاستيوس ...إنّ القصور الأولى تعود إلى القرن الثاني ، وبداية القرن الأول قبل الميلاد لقد تكونت على أساس التوسع المتنامي في الأطلس الصحراوي في إطار سياسة الاستيطان للبدو البربر القادمين من شمال المغرب منذ عهد ماسينيسا."[1]

إنّ الجيتوليين امتازوا بالحياة الجبلية بسلسلة الأطلس الصحراوي الموازي لسلسلة الأطلس التلي كما يشير إلى ذلك استرابون الذي أورد أنّ الجيتوليين كانوا أقوى الأمم الليبية على الإطلاق ، إنّ بلاد الجيتول ممتدة

[1]- **FrançoisCominardi,**Op.cit , p 45.

عبر خارطة جغرافية تبدأ من المحيط الأطلسي إلى فزان ، كما أشرنا سابقا ، وهذه الخريطة تمثل إقليما انتقاليا مابين الصحراء الكبرى ، وشريط التل الساحل و أما من الناحية السياسية ، كان الجيتول يمثلون شريحة سكانية مندمجة مع الشمال نسبيا. من الناحية الإدارية فهم موريون في الناحية الغربية الجنوبية ، ونوميديون في السهوب ، والمرتفعات الجنوبية الجزائرية ، والتونسية يرى محفوظ قداش"...يخبرنا استرابون أنّ أراضي المور كانت تتبع أراضي الماصيصيل ، التي تبدأ من نهر مولوشة ، وتنتهي عند رأس تريتون ، فالنهر يمكن أن يكون نهر ملوية أما الرأس، فهو رأس بوقرعون ."[1]

إذن إنّ الأصل البربري الذي كان يجوب منطقة الشلالة هو الجيتول في العصر الحجري الحديث لكن هناك من يرى أنّ الجيتول أصل صنهاجة ، وزناتة .قال ابن خلدون :"وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل أوراس و الزاب وقبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية ."قال:"والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى إنهم ينسب إليهم و يعرف بهم، فيقال وطن زناتة."[2] من هنا يتبين أنّ أصل السكان بالشلالة بربر زناتة وإن كان البعض ينفي البربرية على الزناتيين إذ ".. لم يعثر على اسم زناتة مع أسماء القبائل الأمازيغية التي وجدت في كتب المؤرخين القدماء من يونان وروما ، لكن عثر على كتابة في منطقة الشلف."[3]

---

[1] –**محفوظ قداش**،مرجع سبق ذكره،ص63.

[2] – مبارك بن محمد الميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989 ،ص108.

[3] – **قوراري عيسى** ،قصر تيوت دراسة أثرية ومعمارية ، مخطوط رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية جامعة تلمسان 2001 ص15.

لكن كل الشواهد بالمنطقة تدلّ على الأصل البربري الزناتي إذ يـذكر أندري جوليان "إنّ أول تصنيف للقبائل البربرية يعود إلى ابن خلدون الـذي سجل ثلاث مجموعات حسب التوزيع الجغرافي ،وذلك في منتصف القـرن 14م ، بحيث يتمركز البرانس في الغرب ، وتعرف هذه المجموعة فرعين ، فرع مصمودة الذي يستقر بالمغرب الأقصى ، وصنهاجة التي تنقـسم إلى قـسم متحضر و هو كتامة بمنطقة القبائل ، وغومارة بمنطقة الرّيف، أمّـا القبائـل الأخرى بدو كبار بصحراء المغرب الإسلامي ، وهي لمتونة ، وغزولة وزناتة التي كانت تنتشر عبر كامل الهضاب العليا من طرابلس إلى جبال العمور."[1]

من هنا يتضح أنّ الفرع البربري الذي كان يجوب الشلالة ،هو زناتة ذلك أنّ الشلالة منطقة بجبال القصور ينطبق عليها تصنيف ابن خلدون وهنـا يـشير مبارك بن محمد الميلي "زناتة أشبه البربر حياة بالعرب لأنّ أكثرهم مواطنـهم الصحراء يتخذون بيوت الشعر للظعن ."[2]

إنّ من القبائل الزناتية من يغلب عليها الطابع البدوي الترحـالي و الأخـرى يغلب عليها طابع الاستقرار ، ومن شروطه وجود ينابيع مائية وهذا الطـابع الأخير يتوافق مع سكان الشلالة نظرا لوجود عامل الاستقرار إذ شهدت بناء عدة قصور، بالإضافة إلى العامل الآخر الذي يساهم في الاسـتقرار وهـو توفرها على عدة منابع مائية موجودة ليومنا هذا سنذكرها في فصل العمارة ويشير بعض المؤرخين أنّ الزناتيين قدموا من سجلماسة بعد سقوط دولتـهم مما دفع بهم إلى التروح إلى الصحراء ليستقروا فيها ، ثم ليحافظوا مما عـانوه

---

[1]- **CHARLES ANDRE JULIEN,**l'histoire de l'Afrique blanche,Que sais-je ?,édit,p.u.f 1967,p,18.

[2]-**مبارك بن محمد الميلي** ، مرجع سبق ذكره، ص209.

من ظلم من قبل المرينيين ، يرى الباحث مقدم مبروك"..وقد تمكنوا من خط بعض القصور ، والفقاقير في الأماكن التي لا زالت بها لغتهم التي لم تندثر. "[1]

إذن نرى أنّ الزناتيين فرّوا إلى الصحراء بحثاً عن الأمن ، أو هروباً لعدم رضاهم عن الأوضاع السياسية و في هذا الصدد يقول فرج محمود فرج: "فعند منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، وبعد قيام دولة الموحدين، وما نتج عن ذلك من تعقب الموحدين للفرع الزناتي من القبائل البربرية ، دفع بأعداد كثيرة إلى الهجرة إلى الصحراء ."[2] وعلى كل ، إن كان الجيتول قد سكنوا الجبال والكهوف ، والمغارات فإنّ أحفادهم الزناتيين هم أوّل مَنْ أسّسوا القصور الصحراوية، وأضفوا عليها الصبغة الهندسية والمعمارية ، ولكن بعد مجيء الإسلام وهجرة القبائل العربية التي حلّت بالمنطقة جاءت محمّلة بالثقافة العربية والإسلامية وأضافت الكثير إلى الثقافة البربرية .

---

[1] –**مقدم مبروك**، الاستيطان والتوطين بإقليم توات ،قورارة ،تديكلت ،دار الغرب للطباعة والنشر ،وهران 2003،ص18.

[2] –**فرج محمود فرج** ، إقليم توات خلال القرن 18و19م،د،و،ج، الجزائر 1977، ص05.

المبحث الثاني :الشلالة الظهرانية في العهد الروماني :

هل خضعت الشلالة إلى الاحـــتلال الرومـــاني ؟أم عرفـــت نوعـــا من الاستقلالية عنه ؟ هل قاومته؟.هناك من المؤرخين من يربط جبال القصور بالاحتلال الروماني ، ذلك أن الرومان استعملوا طرق توات أثناء مـــرورهم إلى فقيق، وبلاد السودان ، فكان عليهم السيطرة على الأطلس الـــصحراوي لتسهيل مرور القوافل من هذا الطريق الاستراتيجي إذ يرى يوسف نسيب أنّ "النفوذ الروماني امتد إلى السفوح الشمالية للأطلس الصحراوي ، وأبـــرز أنّ الرومان حاولو بسط نفوذهم على الصحراء الجزائرية بدليل أنّ الطريق الذي كان يمرّ بالبيض ، الجلفة ، وبوسعادة إلى غاية الشط الشرقي كانـــت تعـــدّ الحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية في المغرب و الفاصلة بين التل المحتـــل والصحراء المتمردة ."[1]لكن هناك من ينفي هـــذه الفكـــرة إذ أنّ الرومـــان لم يصلوا إلى منطقة القصور ويظهر هذا جليا من خلال الخريطة التي رسمها ديمونجو DEMANGONT التي تمثل الحدود الجنوبيـــة للإحـــتلال الرومـــاني في القرن الثالث الميلادي إذ هذه الحدود لم تتجاوز الهضاب العليا الوهرانيـــة (ينظر للخريطة في الصفحة الموالية) .

"فالحقيقـــــة التاريخيـــــة ســـــواء كانـــــت عنـــــد الغـــــرب أو العرب تؤكد أن الرومان لم يصلوا إلى الهضاب العليا ، ومقدمة الصحراء إلا من ناحية الأوراس والحضنة ، وعلى عكس ذلك كانت موريتانيا ومقاطعة نوميديا القديمة تتسمان باحتلال هام ، فلـــم تحتـــل الأوراس ،والونـــشريس

---

[1]– **Youcef Nacib,**culture oasiennes .bousada .Essai d'histoire sociale, ENAL,Alger ,1986,p79.

بلاد المغرب في العهد الروماني

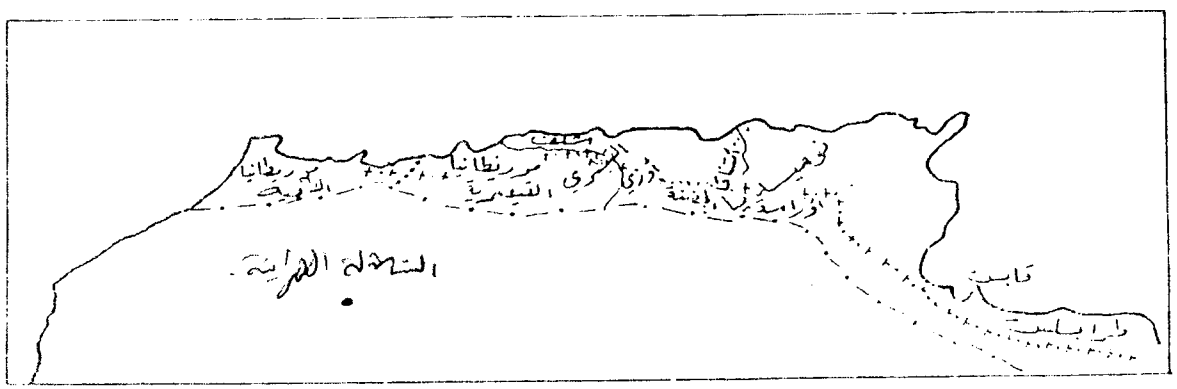

يمثل الرمز [ ] حسب Boulnois الحدود الجنوبية للاحتلال الروماني في القرن
3 الميلادي أما الرمز [ ] فيمثل الحدود الجنوبية له في نهاية القرن الأول انظر
Bulletin de la société d'Alger et d'Afrique du Nord, N°38, 2e trimestre (1924) p. 144)

وعند مقاربة هذه الخريطة مع ما ذكره Victor de Pierron عن تقهقر الاستعمار الروماني

مأخوذة من كتاب الجزائر في التاريخ، ناصر الدين سعيدوني، ج4

والقبائل وكذالك جزء كبير من السهول العليا الوهرانية ."[1] لكن نتساءل لماذا لم يستطع الرومان الوصول إلى منطقة الشلالة الظهرانية وكذا منطقة جبال القصور ؟ ربما أن هناك عوامل سياسية ،و تضاريسية هي التي منعتهم من تأكيد سيطرتهم على هذه المناطق فالرومان لم يدخلوا "الصحراء إلا في عمالة قسنطينة ، دخلوها من ناحية الأوراس ، أما عمالتا الجزائر ووهران فليس للرومان فيهما إلاّ الجهات التلية المعبر عنها بموريتانيا القيصرية وبقيت الصحراء في منجاة من تسلط الرومان ، ذلك لأنهم ليسوا بأمة صحراوية حتى يقدروا على فتح الصحراء أو تشتدّ رغبتهم في فتحها ، وثانيا لم تكن الجهات التلية خالصة لهم ،فلم يكونوا مطمئنين منها حتى يغرروا بأنفسهم في الصحراء."[2]هذا يدلّ على أنّ الرومان كانوا بعيدين على أن يحتلوا منطقة الأطلس الصحراوي لعدة اعتبارات أمنية واقتصادية ،و بيئية ، فنادراً ماكانوا يحتلون مواقع ليمنعوا قبائل أخرى كان الرومان يريدونها للفلاحة أو يحرصونها من بعيد، وفي هذا الصدد يذهب محفوظ قداش إلى أنّ "الاحتلال الروماني نادرا ما يتجاوز المنطقة التلية ...إنّ المواقع البعيدة في الجنوب قد كانت تحرص تنقلات البدو، لابد من التأكيد على أنّ الجبال قد احتلت بشكل ضعيف من طرف الرومان ،...إذ كان الرومان قد واجهوا صعوبات كبيرة مع بدو السهول العليا البافار كما كانوا يسمونهم ، فإنّهم واجهوا صعوبات أكثر مع الانتفاضات الجبلية ...إنّ السهول العليا الوهرانية

---

[1]– **مباركي عبد المجيد**، قصر مغرار التحتاني ، دراسة أثرية ومعمارية ،مخطوط رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية جامعة تلمسان، 2001،ص18.

[2] –**مبارك بن محمد الميلي** ، مرجع سبق ذكره،ص257.

قد ظلت خارج الأملاك الرومانية ."[1]وفي اعتقادي أن الشلالة الظهرانية ،مع بقية القصور الأخرى بما أنّها مناطق صحراوية ، وجبلية فإنّها ظلت بعيدة المنال عن الاحتلال الروماني ، بل إن هذه المناطق استطاع سكانها مقاومة الرومان وإبعادهم وقطع الطريق أمامهم، وهدّدوا خط الدفاع الروماني .يرى عبد الرحمان الجيلالي أنه "لم يكن للرومان بالجزائر سوى التلول ، أما الصحراء فإنهم لم يطرقوها إلا من ناحية الأوراس "[2] .أما بالنسبة للاحتلال الوندالي فليس هناك دليل على أنّ الأهالي بالمنطقة قد انضّموا إلى جانب الوندال كرّد فعل ضد الرومان مع العلم أنّ البربر معروفون بمقاومتهم الشرسة للعدو وعدم الخضوع البسيط لهم . يذكر أندري جوليان وآخرون "أنّ الإمبراطورية الرومانية لم تكن في مستوى معارضة إنزال الوندال إلا أنّه كانت بعض مقاومة ،كما تثبت إشارة ألطافا المؤرخة في 429ق م والتي تتحدث عن شخص قتل من طرف البرابرة ".[3]و يرى بعض المؤرخين أنّ الوندال جرّوا معهم عددا هائلا من الأهالي مستغلين حقدهم على الرومان في هذه الحالة ربما يكون الأهالي قد سهّلوا مرور الوندال وساهموا في تموينهم لكن على كل لم يتمكن الو ندال من إحراز نفوذهم على الجنوب الغربي الجزائري.

---

[1] **محفوظ قداش**، المرجع السابق، ص ص،136،137

[2] -**عبد الرحمان الجيلالي** ،تاريخ الجزائر العام، ج1 ،دار الثقافة، بيروت،1980،ص،69.

[3] -**بن عمارة بن خليفة** ، المرجع السابق،ص69.

المبحث الثالث :الشلالة الظهرانية والفتح الإسلامي:

هل تقبل البربر الإسلام بسهولة ؟ألم يبدوا مقاومة للفاتحين العرب ؟هل استطاعوا الاندماج مع المسلمين ؟رغم المعارضة الشديدة التي ميزت البربر للإحتلال الروماني و الوندالي الأمر الذي جعل هؤلاء المحتلين في منأى عن أراضي بربر هاته المناطق إلاّ أنّ الأهالي لم يبدوا مقاومة للفاتحين المسلمين وهنا يذكر رشيد بورويبة أن الأمازيغ " فرعان أو جذمان ، برانس ،وبتر فالبرانس في معظمهم مستقرون للزراعة ،والغراسة ،ولذلك كانوا أكثر احتكاكا بالشعوب ،والحضارات التي تواردت على شمال إفريقيا وأكثرها تأثرا بالتيارات الحضارية الأجنبية ،فكانوا منهم المسيحيون،ولذلك كانوا أقوى عناصر المقاومة ...أما البتر فرحالة في معظمهم ...ولإدراكهم رابطة النسب البعيدة مع العرب لم يجد الفاتحون منهم مقاومة كبيرة في بداية الفتح ومراحله الأولى ."[1] هذا يدل على أن البتر هم الذين كانوا يقطنون الشلالة الظهرانية وما جاورها من قصور ، ومجموعات البتر هي زناتة ،ولواتة،ونفوسة ، ومطغرة ومكناسة،وكما أشرنا سابقا فإنّ الفرع البربري الذي كان يجوب المنطقة هو فرع زناتة .ومن خصائص هذه القبيلة كما يصفها الإدريسي أنّها "قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره."[2]

---

[1] –**رشيد بورويبة وآخرون**،الجزائر في التاريخ منذ العهد الإسلامي إلى العهد العثماني،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984،ص،15.

[2] –**الإدريسي** ،قارة إفريقيا وجزيرة الأندلس ، تقديم وتحقيق إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983،ص،61.

إنّ التشابه في الخصال، والعادات والتقاليد وحتى الرابطة الدموية جعل الأهالي لا يبدون مقاومة للدّين الإسلامي بل اعتنقوه ،ودافعوا عنه أشدّ دفاع، فالكثير ممن رفعوا راية الإسلام وكانوا قادة بارزين هم من أصل بربري ، والزناتيون جزء من هؤلاء البرابرة البتر الذين يرجعون إلى الشام وفلسطين ، أمّا عن نسب زناتة فقد جاء ابن خلدون بآراء المؤرخين الذين ينسبونهم إلى حمير ،وأنكرها جميعا ،ثم اكتفى بردّ أصل زناتة والبربر إلى الشام وفلسطين."[1] لكن ماهي الفتوحات التي عرفتها الشلالة الظهرانية ؟ من المعروف أنّ المغرب الإسلامي شهد عدة فتوحات إسلامية عرف من خلالها حوادث دامية نتيجة التسلط والظلم ،والعنف ،فهناك مَنْ يعتقد أنّ حملة عقبة ابن نافع قد مرّت بالمنطقة ، وكذا حملة موسى ابن نصير،يذكر الدكتور عبد الحميد حاجيات "ثم قام عقبة بحركته الشهيرة ، قاصدا فتح المناطق الجنوبية من بلاد المغرب،غير مكترث بقلة جنوده وكثرة البربر،أهل تلك المناطق،وغير آبه بخطر محاولات الروم المنتظرة لإثارة عداء البربر للعرب،وإشعال نار الحرب بين العنصرين...وتشير معظم المصادر إلى أنّ عقبة توجه إلى المغرب الأوسط،ففتح تيهرت ،وغيرها ثم توغل في بلاد المغرب الأقصى ."[2]هذا يدلّ على أنّ عقبة ابن نافع قد وصل إلى المنطقة لأنّها كانت منطقة عبور إلى المغرب الأقصى ولهذا تشير بعض المصادر التاريخية إلى أنّ البربر اعتنقوا الإسلام منذ أوّل الفتح الإسلامي ، وانضّم إلى الجيش الإسلامي

---

[1] -**عبد الرحمان ابن خلدون**،تاريخ ابن خلدون ،ج6،دار العلم للملايين،بيروت،1981،ص،91

[2] -**رشيد بورويبة وآخرون**،المرجع السابق،ص،49.

الكثير من أبناء القبائل البربرية مدافعين عن الإسلام أيّما دفاع" وتذكر بعض الروايات أنّ عناصر من البتر قد اعتنقت الإسلام ، وانضّمت إلى الجيش الإسلامي وخصوصا أثناء حركة زهير ابن قيس إلى إفريقيا ،مما يسمح بالتفكير في وجود صراع بين البتر والبرانس ،واستعداد أحد العنصرين لمساعدة المسلمين لمواجهة العنصر الآخر."[1]. و في اعتقادي هنا أنّه مادام البتر هم أهالي الشلالة فإنّهم قد دافعوا عن الإسلام بالانضمام إلى جيشه ، ولم يبدوا أي مقاومة تذكر .وهذا ما يؤكده الدكتور عبد الحميد حاجيات أثناء حملة موسى ابن نصير للمغرب الأوسط، حيث وجد مساعدة وصلح من قبل أهالي المدن ،فقدموا له الحماية ،أما قبائل البدو قدمت له طاعتها إذ أسلم الكثير منهم ،وخاصة مَنْ كانوا على دين الوثنية ،فأخذ منهم رهائن وضمها إلى الجند.[2]

لكن هناك من المؤرخين من يرى بأنّ البربر خاصة الفرع الزناتي ، والذي كان يجوب منطقة الشلالة ،وجبال القصور قد رفض اعتناق الإسلام وأبدى مقاومة للفاتحين إذ يذكر نُوال noël "إن الفرع البربري الزناتي بقي تحت الاستعباد العربي ،ولم يتعرّب مثل بقية القبائل الأخرى "[3].نفهم من كلام نوال أن الفاتحين العرب قد أخضعوا بالقوة أهالي المنطقة البربر مما دفعهم إلى التعصب للغتهم ، كما نفهم بأنّ الفتح لم يكن سهلا بل اعترضته المقاومة البربرية الزناتية خاصة ، لكن هذا الرأي لنوال ربما يكون غير مؤسس

---

[1] -المرجع نفسه ،ص،51.

[2] المرجع نفسه ،ص،55.

[3]-**NOEL,**Document pour servir l'histoire de hamyan et la région qu'ils occupent,B.S.G.O, TXXXV, 1915-1916, P, 128.

لأنّ البربر ليومنا هذا مازالوا محافظين على لغتهم بالرغم من التغيير الذي انتابها هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ صعوبة تعريب البربر نظرا لعدم قدرة السكان على فهم اللغة العربية لأنّه كان لزاما على المعلّمين المسلمين الإلمام بلغة البربر.إنّ موسى لقبال هو الآخر ينفي وصول عقبة ابن نافع وموسى ابن نصير إلى المنطقة إذ يشير بقوله:"إنّ عقبة ابن نافع كان يتجنب المسالك الصعبة كالجبال ،وكان يتبع المسالك المستوية سهلة التنقل والرؤية."[1] هذا الرأي ينطبق كثيرا على منطقة جبال القصور عامة والشلالة خاصة .ذلك لوجود مسالك صعبة .لكن لايهم إن كان عقبة ابن نافع أو موسى ابن نصير قد مرا بالمنطقة بل المهم أن الشلاليين والقصوريين كانوا السباقين في اعتناق الإسلام ،والدفاع عنه بكل بسالة ،ذلك ممكن للتشابه في الخصال كما رأينا بين العرب الفاتحين و الزناتيين .و"من العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام بين البربر،بساطة العقيدة الإسلامية وملائمة كثير من القيم التي يدعوا إليها المناخ الأخلاقي السائد بين الأهالي ، وخاصة البدو، ولاشك أن هؤلاء كانوا يعيشون في حياة تشبه حياة العرب آنذاك إلى حد بعيد،سواء في المجال الاقتصادي ،أو الاجتماعي أو الثقافي ،فلا غرابة أن يعتنق الكثير منهم الإسلام لأوّل اتصالهم بهم ."[2]إذن هذا الرأي يحطم النظرة العدائية التي كانت ضد البربر.إذا كان أهالي الشلالة خاصة والقصور عامة قد اعتنقوا الإسلام مبكرا وناصروه، وأخلصوا له بالرغم من تضارب الآراء حول مقاومة البربر للإسلام

[1] -**موسى لقبال**، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج،سياسة ونظم،مطبعة البحث ،قسنطينة ،1963،ص5.

[2] -**رشيد بورويبة وآخرون** ،المرجع السابق،ص،57.

بدون مقاومة أو الدخول فيه بعد المقاومة خاصة الفروع الزناتية بالمنطقة فإنّ منطقة الشلالة لم تكن بعيدة عن مسرح التطورات السياسية ، والدّينية التي عرفتها الأمة الإسلامية في بدايتها ،حيث ظهرت فرق دينية وسياسية مناصرة ومؤيدة ،أو معارضة خاصة في عصر الولاة في ظل الخلافة الأموية ،وإن كان الصراع المذهبي الذي أدّى إلى نشأة الفرق السياسية تحت الغطاء الدّيني ، شيعة وخوارج ،وسنة ،كان عاملا هاما في انتشار الإسلام بين أهالي المغرب إذ كل فرقة كانت تريد كسب أنصار لها ،فحاولت بث الوعي الديني لاستمالتها خاصة في المناطق التي كانت خاضعة للسلطة الأموية ،فهل كانت الشلالة الظهرانية خاضعة للسلطة الأموية ؟وهل تعرضت للصراعات المذهبية ؟وماهي الفرق الدينية التي اتبعها الأهالي؟.إن الفتن التي تعرض لها المغرب كبقية الأمصار الإسلامية الأخرى بين القيسية واليمنية ،هي الدافع في ثورة البربر على الحكم الأموي و "يجمع كثير من المؤرخين على سوء معاملة عمال العصر الأموي الأخير للبربر،وإرهاقهم بالمغارم و الجبايات ،واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب حتى بعد اعتناقهم الإسلام ."[1] من هنا يتبين أنّ الظروف كانت مواتية لتقبل البربر أي معارضة ،أو نزعة تخرج عن السلطان الأموي المستبد ،فوجد أهالي المنطقة نتيجة هذه الأسباب تناقضا صارخا بين تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة ،وما تنطوي عليه من عدل ومساواة "لا فرق بين عربي وعجمي إلاّ بالتقوى "وبين سياسة الأمويين الطاغية فربما لهذا الأسباب أقبلوا على إتباع مذهب الخوارج والذي انتشر في بلاد المغرب بكثرة لأنّهم حرموا من المساواة مع العنصر العربي الحاكم وفي هذا الصدد

[1] -**محمود إسماعيل**،الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار العودة بيروت ،1986،ص29.

يشير محمود إسماعيل "ولما كان مذهب الخوارج يقول بالثورة على الجائرين من الحكام ،فقد وجد البربر في اعتناقه مبررا لانتفاضتهم على الحكم العربي وبمعنى آخر اكتسبت نزعة الاستقلال عند البربر بفضل مذهب الخوارج طابعا ثوريا دينيا ، فالتقى البربر مع الخوارج في موقفهم من عدو مشترك ممثلاً في السلطة الأموية ،فضلا عن ذلك فإنّ وضوح فكر الخوارج ،والتزامه بظاهر الدّين ،وعدم ميله إلى الفلسفة والتأويل جعله يتلاءم مع عقلية البربر."[1] الذين لم يقاوموا الفاتحين المسلمين ،وإنّما قاوموا ظلم الولاة واضطهادهم لهم ، وهذا يكذّب ما كان يروج عن البربر بأنّهم دخلوا إلى الإسلام بعد المقاومة .

إن لجوء الخوارج إلى المغرب كان نتيجة المعاناة التي لقوها والاستبداد الذي سلط عليهم في المشرق العربي ، والانتصارات المتتالية لبني أمية فحاولوا الهروب إلى الأماكن التي هي بعيدة عن بطش بني أمية وولاتهم .يقول موسى لقبال :" وقد وجد مهاجرو الخوارج في بيئة المغرب لهذه البيئات تربة خصبة لزرع آرائهم وبث دعوتهم، وتقوية صفوفهم ...وتذكر التجارة والرحلة للكسب كعامل مهم في نشر الأفكار والعادات ،لاسيما الفكرة الخارجية."[2]إذن يتبين مما سبق أنّ المغرب الإسلامي كان ميدانا خصبا لنشأة الفرق الخارجية ، إذ ساعدت الأوضاع المزرية خاصة السياسية التي تميزت بنمو السخط على ولاة بني أمية الذين اهتموا بالغنائم والاعتماد على العنّصر العربي وهذا ما يؤكده عبد الحميد حاجيات " وقد لقيت هذه الدعوة ميدانا

---

[1] -المرجع نفسه ،ص34.

[2] -**موسى لقبال** ،تاريخ المغرب الإسلامي ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط4،2001،ص176.

خصبا في مناطق عديدة من بلاد المغرب ويلاحظ أنّ هذه المناطق كانت لا تخضع فعلا لسلطة بني أمية ، وأنّ معظم سكانها من قبائل البدو كما أنّ أغلب هذه النواحي تمثل بلاد المغرب التي كانت مستقلة في عهد الو ندال والروم ...إنّ شروع ولاة بني أمية في تنفيذ مشروع توظيف الخراج على الرعايا المسلمين ، والرجوع عن مبدأ المساواة بين سائر الفئات بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز ،فقد سبب غضب الأهالي وسخطهم."[1] إنّ هذا الحكم ينطبق على سكان الشلالة الظهرانية وعلى كل سكان القصور المجاورة الذين كانوا كما أشارت المصادر التاريخية غير خاضعين للحكم الروماني أو الوندالي إضافة إلى أنّهم من أهالي البربر البدو ، ومن ثم وجدوا في نزعة الخوارج المتنفس والمخرج ، ونزوعا نحو الاستقلالية التي تبدت كما رأينا منذ العهد الروماني .لكن ألفراد بل Alfred bel يرى أنّ البربر اعتنقوا مذهب الخوارج لأسباب أخرى مؤدّاها أنّ " آراء دعاة الخوارج انتشرت بسرعة بين الذين كانوا يحنون إلى الحياة ما قبل الإسلام ، بعيدا عن سيطرة الدولة فوجدوا في حركة الخوارج المنفذ من الطغيان والظلم "[2] . وربما يكون هذا الحكم قاسيا ومجحفا في حق البربر لأنّ التمرد سببه الطغيان والظلم وليس الحنين إلى الماضي لأنّه تاريخيا كانوا دعاة انتفاضة،و استقلالية . فإذا كنا نعرف أنّ مذهب الخوارج متفرع إلى عدة فرق ،فماهي الفرق التي انتشرت بين أهالي الشلالة الظهرانية ؟

---

[1] –**رشيد بورويبة وآخرون** ، المرجع السابق،ص،63.

[2]– **Alfred bel,** la religion musulmane en berbérine ,Esquise d'histoire et de sociologie religieuse,T1, PARIS, 1938, p, 42.

لقد اختلط على الباحثين في التاريخ تحديد الفرق الخارجية التي انتشرت خاصة بالمغرب ، إذ يرى البعض أنها انتشرت جميعها لكن شكّ البعض في وجود فرقة الإباضية[1] و الصفرية على أساس أنّ مبادئ هاتين الفرقتين ليست مما يجذب البربر فهما أكثر فرق الخوارج اعتدالا وميلا إلى التسامح مع المخالفين ، لكن هناك من يرى بأنّ هذين المذهبين انتشرا بكثرة في المغرب الأوسط والصحراء ، وخاصة بين فرع القبائل الزناتية ، ونحن أشرنا سابقا إلى أنّ الفرع البربري الزناتي هو الذي كان يقطن منطقة الشلالة الظهرانية:فلقد " كانت القبائل الزناتية من بين القبائل البربرية التي أعلنت إسلامها منذ الفتح الإسلامي ، وأسرع الناس استجابة للإسلام والدخول فيه ،ثم اتبعت المذهب الإباضي لما اتسم به من تسامح ،وبساطة وحسن معاملة ، ومنه إشراك جميع المسلمين في الخلافة ولو كان عبدا حبشيا."[2] أنّ بلاد المغرب الإسلامي كانت أرضا خصبة لنمو مبادئ المذهب الإباضي نظرا للظلم الذي كان مسلطا على القبائل البربرية من قبل الأمويين ".[3]إنّ منطقة الشلالة واحدة من هذه المناطق التي عرفت انتشار الإباضية

---

[1] – **الإباضية** :تنتسب الفرقة الإباضية ،إلى أحد فقهاء المذهب ،وهو عبد الله بن اباض المري التميمي، يرتبط ظهور هذه الحركة ،ببداية النصف الثاني من القرن الأول للهجرة،ويعزى نشر المذهب إلى مجموعة من المتحمسين يسمون "الدعاة"نقلا عن موسى لقبال،تاريخ المغرب الإسلامي،ط4،دار هومه،الجزائر2001ص190

[2]–**محمد الصالح مرمول** ،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1983،ص،179.

[3] –**ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ.مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقماق،ج2،دار الكتب العلمية بيروت1987،ص،485.

أحد مذاهب الخوارج و الذي مازالت آثاره إلى يومنا هذا ، وفي هذا الصدد يذكر رشيد بورويبة "لقد نشأت دولة الرستميين في مناطق الهضاب العليا من جنوب الجزائر ، وشملت السهوب الصالحة للرعي ،وبعض المناطق الواقعة جنوب حوض وادي الشرف.كانت فيه الدولة الرستمية تمثل الكيان الذي انصهرت فيه كثير من قبائل البتر ،وزناتة البدوية القاطنة في جنوب المنطقة "[1] من هنا يتضح أنّ المنطقة محور الدراسة (الشلالة الظهرانية)كانت خاضعة للدولة الرستمية في حين نجد هناك من الباحثين من ينفي خضوع المنطقةإلى دولة الخوارج ، والرستميين إذ يرى نوال noël "إنّ قبائل منطقة الهضاب العليا الوهرانية والأطلس الصحراوي ،بقيت مستقلة عن دولة الرستميين."[2]نفهم من هذا الرأي لنوال أنّه مادمت الشلالة كانت غير خاضعة لدولة بني رستم فإنها كانت غير متبنية للمذهب الإباضي لكن هذا الرأي يفنده بعض المؤرخين ذلك أنّ جبال القصور عامة و الشلالة خاصة قد عرفت مذهب الخوارج الذي انتشر في الصحراء والمذهب الصفري[3] الذي امتد نفوذه حتى المغرب الأوسط.يذكر موسى لقبال "من حسن حظ المغرب أنّه

---

[1] –**رشيد بورويبة**، المرجع السابق،ص، 96.

[2]– **noël,op-cit,p,130.**

3–الصفرية:هم أتباع زياد بن الأصفر ،ومواطنهم الإقليم الشرقي من الجزيرة ، ومن آرائهم ،عدم تكفير القعدة عن القتال إذ كانوا على نفس عقيدتهم و مذهبهم ، وعدم جواز قتل أطفال المشركين، لهم ليسوا في نظرهم كفارا ...وتمسكوا بالتقية في القول ،دون العمل ،وقد استهل النشاط الصفري في المغرب زعيم بربري بتري يسمى ميسرة.نقلا عن موسى لقبال،تاريخ المغرب الإسلامي،ط4،دار هومه،الجزائر، 2001،ص،ص183،182.

وكانت هذه النحلة أسبق في الظهور ، والانتشار بين بربر المغرب الأقصى ، والأوسط والأدنى ، وهي التي استهلت النشاط الدعائي و الحربي ضد بني أمية وعمالهم في المغرب."[1] إذن يتبين أنّ أهالي الشلالة ، والقصور المجاورة قد ناصروا الخوارج المعتدلين ضدّ بني أمية و ابتعدوا عن الفرق الخارجية المتطرفة والمتعصبة كفرقة الأزارقة لأنّ مذهبا الصفرية و الإباضية خاصة انتشرا بسرعة لاعتدالهما في بلاد القبائل البربرية وهنا يؤكد محمود إسماعيل "أما البربر فإنّ اعتناقهم مذهب الخوارج ساعد على توحيد شملهم تحت لواء واحد فقد جمعهم جميعا بترا وبرانس مبادئ الخوارج التي تحض على العدل والمساواة ...واشتركوا جميعا في الثورة على العرب."[2] كما يرى علي يحيى معمر "أنّ الإباضية فرقة متسامحة فيقول: "منها تسامحهم مع المعتدين ، وبساطتهم وصراحتهم في قول الحق .ووضوح عقيدتهم ، واعتدال في حياتهم ، ساعدهم على نشر مذهبهم ، فلم يعرف اللجاج كالمعتزلة ، ولا العنف ، شأن الأزارقة ولا الكذب ، شأن بني أمية ، ولا الإفراط شأن الشيعة"[3].

لقد عرفت منطقة الشلالة الظهرانية وباقي مناطق جبال القصور حلقة أخرى من الصراع السياسي في عهد المرابطين ، ذلك أنّ المرابطين حاولوا تجنيد أهالي المنطقة المتمثلة في القبائل الزناتية لأجل الدفاع عن دولتهم في الحدود الشرقية وفي هذا الصدد يشير عبد الحميد حاجيات"هكذا تعرضت بلاد الزاب إلى غارات عديدة شنها بنو توجين و مغراوة وغيرهم من زناتة

---

[1]- **موسى لقبال** ، المرجع السابق ،ص، 157.

[2] -**محمود إسماعيل**، المرجع السابق، ص، 215.

[3] -**موسى لقبال** ، نفس المرجع السابق، ص، 194

بلاد الزاب إلى غارات عديدة شنها بنو توجين و مغراوة وغيرهم من زناتة المغرب الأوسط متحالفين مع بعض قبائل العرب كبني عامر[1] ويبدوا أنّ المرابطين كانوا ينظرون إلى هذه الغارات بعين الرضى ،إذ أنّ من شأنها أن تزيد مملكتهم سعة وأن ترغم الحماديين على اتخاذ موقف الدفاع عوض القيام بدور الهجوم والغزو"[2] .

هذا وقد أصبح المغرب الأوسط درعا واقيا من الأعداء وهذا يبين أنّ الشلالة لم تكن بعيدة عن مسرح العمليات التي كان يقودها المرابطون لتشترك هي الأخرى في الحروب والعمليات الدفاعية فقد "كانت تلمسان وما يليها من بلاد المغرب الأوسط، في عهد المرابطين ، بمثابة حاجز يفصل بين بلاد المغرب الأقصى ومملكة بني حماد ،يرّد هجمات هؤلاء أحيانا ، وتنطلق منه الغارات إلى بلاد الزاب أحيانا أخرى "[3].

---

[1] **بنو عامر**: ينتمون إلى قبائل العرب الهلاليين ، الذين قدموا إلى بلاد المغرب الإسلامي في أواسط القرن الخامس الهجري و استوطنوا أراضي جنوب إفريقيا ثم الهضاب الواقعة جنوب التل بالمغرب الأوسط ويرجع أول عهد لاستقرارهم بالغرب الجزائري إلى بداية الدولة الزيانية ذلك أن يغموراسن استقدمهم إلى المنطقة المحاذية لتلمسان عاصمة دولته ليكونوا حاجزا بينها وبين عرب المعقل وليقوموا بحماية من غارات المعقل المحالفين لبني مرين نقلا عن عبد الحميد حاجيات،دور بني عامر في تاريخ الغرب الجزائري أيام الدولة الزيانية،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،عدد مشترك3-4،تلمسان ،1425ه،2004م،ص،157

[2] **رشيد بورويبة وآخرون** ، المرجع السابق،ص، 297.

[3] -المرجع نفسه ، ص، 297.

إنّ منطقة الشلالة الظهرانية عرفت هجرات متتالية و نزوحا لبعض القبائل العربية ومنهم بنو عامر* الذين ينتمون إلى القبائل الهلالية التي أدّت دورا أساسياً في مختلف الصراعات السياسية سواء من خلال التكتلات أو الانحياز لطرف من الأطراف من أجل الحماية و الدفاع عن الغارات من حين للآخر مقابل امتيازات تمنح لهم.. إنّ حلول الهلالين بالمنطقة جعلهم يحملون معهم ثقافتهم في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إذ انعكس ذلك مثلا على طريقة البناء الخاصة بقصور المنطقة ، إذ إنّ هناك بعض القصور تحمل اسم الهلاليين ، وكذا الشوارع والأبواب والمداخل . إنّ الهلاليين ساهموا في تنمية الثروة الحيوانية ، واهتموا بالفلاحة فكانوا معمرين وليسوا مخربين كما وصفتهم بعض المصادر التاريخية خاصة ابن خلدون لكن لابد من إنصاف هذه القبائل العربية التي اعتنت بمجالات شتى فنجد مثلا تربية الخيول التي كانت تستخدم في الحروب وتغنى بها الشعراء ، ودافعوا بها عن أعراضهم وأعانتهم على الإغارة و النجاة . يقول مصطفى أبو الضيف أحمد في هذا الشأن :"وصلة القبائل العربية التي انتقلت بلاد المغرب بالخيول العربية الأصيلة قديمة وان تميزت سليم بالتبريز في هذا المضمار ، فمن أشهر خيولهم "الأحزم"و"الأزور" يليهم هلال بن عامر وأشهر خيولهم الأعوج "ذوي العقال"...فتأثرت بعض القبائل الزناتية بهم ، وأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين أنسابها"[1].

[1] –**مصطفى أبو الضيف أحمد**،أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين وبني مرين860ه-1130م،دار النشر المغربية ط1، الدار البيضاء ،1983،ص-ص293-295.

إن استنجاد أمراء بني زيان أمثال يغمرا سن على القبائل الهلالية خاصة بني عامر كما رأينا كان للتصدي لعرب المعقل. وتعزيز سيادة الدولة الزيانية على الأقاليم الخاضعة لها ، وفي هذا السياق يذكر ابن خلدون "فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ،ودخلت زناتة في التلول والأرياف ،كثر عبث المعقل وفسادهم في وطنها ، فجاء يغموراسن ببني عامر هؤلاء من محلاتهم بصحراء بني يزيد ، وأنزلهم بجواره في صحراء تلمسان ،حيادا للمعقل".[1]

المبحث الرابع: الشلالة الظهرانية في العهد العثماني :

لقد تدهورت الإمارة الزيانية* في عهد محمد الثابتي وضعف شأن ملوكها .وفي سنة 897ه-1492م سقطت غرناطة في يد الأسبان ،وبذلك قضوا على آخر دولة إسلامية بالأندلس ، كما تعرضت الجزائر خاصة المرسى الكبير إلى محاولات هجومية من طرف البرتغاليين باءت بالفشل ، وفي سنة 910ه-1505م تعرض ميناء مرسى الكبير إلى هجوم الأسبان وفشل السلطان الزياني في حماية المرسى الكبير ، ودخل الأسبان إلى بجاية ، فخشيت المدن الأخرى من سطوة الأسبان فاستنجدوا بالعثمانيين ، وفي هذا الصدد يذكر عبد الحميد حاجيات "وأخيرا قرر الأتراك خلع السلطان الحسن

***-الدولة الزيانية**:كان بنو زيان في الأصل من أمراء القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط ثم أتاحت لها الظروف،الاستقرار وتكوين دولة استمرت ما يقرب من ثلاثمائة سنة أنظر رشيد بورويبة وآخرون الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ج3،ص359

[1] **-عبد الرحمان ابن خلدون** ،تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق،ص،42.

ابن عبد الله بن محمد الثاني آخر أمراء بني زيان سنة 962ه-1554م وبذلك انقرضت الدولة الزيانية "[1] .

هل كانت الشلالة الظهرانية خاضعة للنفوذ العثماني ؟يرى ناصر الدين سعيدوني"أن مجموعات سكانية كانت ممتنعة عن سلطة البايليك ،وكانت تتألف أغلبها من القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية الحصينة كالبابور ...أوالتي كانت تجوب جهات الهضاب العليا الوهرانية والأطلس الصحراوي أولاد نايل،والعمور والقصور...".[2]إذن في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يفرضون سلطتهم ونفوذهم على الكثير من المدن الساحلية و الداخلية كانت منطقة القصور والأطلس الصحراوي مستقلة عن نفوذ البايليك والشلالة مادامت تقع في جبال القصور فظلت هي الأخرى مستقلة عن النفوذ العثماني، رغم أن المغرب الأوسط قد قسم إلى بايليكات.ولكن لا يعني هذا أن الشلالة ظلت في منأى عن السلطة العثمانية وتحرشاته، بل كانت تخضع لحكم أمراء محليين ، ذلك أنّ الأتراك جعلوا بينهم وبين أهالي هذه المناطق واسطة عرفت بقبائل المخزن فكانت هذه القبائل والعشائر حلقة وصل بين الأهالي والحكام الأتراك ، إذ كانت لها مهام إدارية وعسكرية،" لقد حاول الباي محمد الكبير باي الغرب الذي كان لايزال خليفة لأبي إسحاق إبراهيم المليانى "قائد مليانة" بعد أن أظهر براعته في الحكم ، من إصابة في التفكير وحسن التسيير ،فعينه خليفة له سنة 1182ه وبعدها عينه الداي بايا

---

[1] -**رشيد بورويبة وآخرون**،المرجع السابق،ص،457.

[2] -**ناصر الدين سعيدوني**،الجزائر في التاريخ ،العهد العثماني،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1984،ص،181.

على الإيالة الغربية سنة 1192هجرية وبمجرد جلوسه على الكرسي شرع في إخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي مثل قبيلة بن طلعة، الحشم ، حميان، العمور ،وكل قبائل القصور ، فانتصر على كثير منها فأخضعهم في المخزن ،فأصبحوا له منقادين ، ولحكومته مخلصين"[1] يتضح من هذا أنّ العثمانيين ليفرضوا سيطرتهم على منطقة القصور جعلوا قبائل المخزن *حلقة وصل بينهم وبين الأهالي ورابطة متينة شدت المحكوم إلى الحاكم وحافظت على استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا نظرا للدّور الذي كانت تؤدّيه قبائل المخزن إداريا وعسكريا،ومن بين قبائل المخزن التي كانت متعاونة مع النظام التركي نجد قبيلة أولاد سيد الشيخ وهذا ما أكّده الرحّالة العياشي في رحلته المشهورة التي قادته إلى الجنوب الجزائري في القرن السابع عشر والتي أسرد فيها أحداثا تساعد على معرفة أوضاع الجنوب الجزائري في هذه الفترة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وللإشارة فإنّ العياشي حجّ ثلاث مرات كما يذكر مولاي بلحميسي عابراً الصحراء

***المخزن**:تعرف بعشائر المخزن ،وهي تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها ،فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم ،ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها ، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية.لمزيد من الإيضاح انظر دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984،ص،98.

1-أحمد بن هطال التلمساني ،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري.تحقيق محمد بن عبد الكريم،ط1،عالم الكتب، القاهرة،1969،ص1 .

لهذا كان أدرى الناس بصحراء المغرب الأوسط"إن أجزاءاً كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محلّيين ... ولأولاد سيد الشيخ نفوذ على مناطق شاسعة".[1](انظر الخريطة)

[1] –**مولاي بلحميسي**،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981،ص28.

إنّ تنصيب قبيلة أولاد سيدي الشيخ كقبيلة من قبائل المخزن كان بعد الغزو الذي عرفته الشلالة الظهرانية من طرف الباي محمد الكبير نتيجة عدم دفع الضرائب و الاعتراف بالسلطة العثمانية من سكان قصر الشلالة وفي هذا الصدد يرى رينيه باسيه"هذا التمرد هو الذي دفع بالباي التركي محمد الكبير حاكم وهران محاولة سيطرته على منطقة القصور،و حاصر الشلالة"[1].

ويؤكّد الباحث بن عمارة خليفة أنّ "لدينا تقرير دوليني في منتصف القرن التاسع عشر والذي يتعلق بغزو الباي محمد الكبير ضد الشلالة سنة 1786.يظهر لنا القصر ذو شهرة جيدة في مجال الثراء ب220 بيتا ،وأنّ سكّانه 1200 ببنادقهم (350الى400) المنتشرة على الأسوار ، يشعرون بالقوة بالمقدار الذي يتحدون به الحكم التركي الذي جهز انطلاقا من معسكر ، سرية ب700 جندي مزودة بالمدافع ،ناهيك عن جنود القبائل الملحقة "[2].هذا يدلّ على أنّ باي وهران كان يحاول فرض سيطرته ونفوذه بالقوة لكن وجد أهالي الشلالة صامدين ،مسلحين قادرين على الدفاع عن قصرهم رافضين مطالب الباي محمد الكبير . مثلما تمردوا على ولاة بني أمية نتيجة الظلم والسيطرة، هذا وقد سبق لأسلافهم أن قاوموا الرومان والوندال.تذكر الرواية الشفوية أنّ الباي محمد الكبير حاول الدخول من كل النواحي فوجد عقبات تحول دون ذلك لأنّ التحصين كان محكما حيث يوجد سور متقدم يحمي البساتين وسور يحمي القصر إضافة

---

[1]-**M.RENE BASSET**,note de lexicographie berbère,p,313.

[2]– **خليفة بن عمارة**،سيرة البوبكرية (أجداد أولاد سيدي الشيخ)تاريخ وهيجوغرافية الجنوب الغربي الجزائري (القرن15،14،و16).ترجمة محمد قندوسي،ج1،مكتبة جودي مسعود،وهران،2002،ص،63.

إلى الحراسة المشددة والإيمان بالدفاع عن النفس .استمر الحصار للقصر ستة أيام واستطاع أن يهدم ناحية من السور الأول تمكن من الدخول ونصب المناجيق لضرب الصومعة ، في هذه المعركة التي تبادل فيها الطرفان الطلقات النارية تكبد فيها الأتراك خسائر مادية وبشرية حوالي 174قتيل إذ تذكر الرواية الشفوية أنّ هناك مقبرة خاصة بالأتراك .حاول الباي محمد الكبير التفاوض من أجل الاعتراف بالسلطة العثمانية ، ودفع الضرائب.كما أنّ المصادر التاريخية تبرر غزو الباي محمد الكبير للشلالة ليقطع الطريق أمام الحركة التيجانية في المنطقة لأنّها كانت تشكل خطرا على الأتراك إذ عدّت من المعارضة، وذلك لأنّ أحمد التيجاني الذي استقر ببوسمغون * مترددا على الشلالة لنشر الطريقة التيجانية قد عانى من ظلم الأتراك يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله:"...ولكن بايات وهران لاحقوه ونغصوا عليه حياته هناك فاتجه إلى فاس سنة 1212ه **هجرية** بأولاده وأهله وتلامذته،وقد رحّب به السلطان سليمان وأحضره مجلسه وأعطاه دارا كبيرة وراتبا .وقد اشتكى التجاني إليه من جور الترك وظلمهم"[1].وهذا يدلّ على أنّ أحمد التيجاني في تجواله بين تلمسان ،والمغرب والصحراء ،لم يعد له استقرار في نشر طريقته التيجانية الصوفية ولأنّ الشلالة عرفت هذه الطريقة المعارضة للتواجد العثماني،هذا كلّه قد أثار انزعاج العثمانيين لهذ تعرضت الشلالة لغزو الأتراك

---

[1] –**أبو القاسم سعد الله**،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ج1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981،ص،518.

***بوسمغون**:هي بلدة تقع بالقرب من الشلالة الظهرانية ،تقع وسط جبال القصور في الجزء الغربي لجبال الأطلس الصحراوي،تتواجد بها الزاوية التيجانية التي كانت محل زيارة وفود أجنبية، من مصر وتونس والمغرب و السنغال.

بعد شعورهم بأنّ منطقة القصور لم تعد تحت سيطرتهم وهذا ما يشير إليه أبو القسم سعد الله "وقد ظهرت دعوة التيجاني في الوقت الذي بدأ العثمانيون يتوجسون من نشاط الطرق الصوفية عموما .ذلك أنّ ظهور الطريقة الطيبية في المغرب وعلاقتها السياسية بالحكم هناك وكذلك ظهور الطريقة الدرقاوية هناك وامتداد نشاط الطريقتين إلى الجزائر وتردد التيجاني بين فاس وتلمسان والصحراء ،كل ذلك قد أثار مخاوف العثمانيين في الجزائر"[1]. لكن إذا كان قد وقف الند للند للعثمانيين ، ولم يعترف بهم وكان يشكل خطرا عليهم في عدة مناطق فقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن العثمانيين ومواقفهم المعتدلة مع رجال الدين والتصوف ،فقربوهم إليهم،وحظوا بالمكانة المرموقة فكان العثمانيون يطمئنون إلى المرابطين فيلجئون إليهم ،ويتبركون بهم حيث كانوا يترددون على الزوايا من أجل نيل البركة ، ومن هؤلاء الذين كانت لهم علاقة وطيدة بالحكم العثماني نجد أحمد بن يوسف الملياني .لقد كانت الشلالة هي المكان المفضل للملياني الذي أقام في الشلالة إذ يوجد اليوم ضريح ابنته عائشة خارج القصر رمم حديثا وترك مثلا يتردد على ألسن الشلالين "الشلالة شلالتي خليت فيها بنتي وعبايتي".

هذا الولي الصالح الذي كانت الشلالة المكان المفضل له في الجنوب الغربي كان عضوا نشطا في الحركة المرابطية المؤيّدة للأتراك، والعدوة لملوك تلمسان الزيانيين الذين طاردوا أحمد بن يوسف الملياني وسجنوه،ونظراً

---

[1] –المرجع السابق،ص،519.

لمكانته الدينية والصوفية وتأثيره على الجنوب الغربي الجزائري من خلال نشره للطريقة الشاذلية التي سادت لفترة طويلة في المنطقة وهنا يشير أبو القاسم سعد الله "وتذكر الروايات أيضا أنّ عروج قد زار الملياني* واتفق معه سرا على عدة أمور منها إعلان الملياني وأتباعه تأييدهم للعثمانيين بينما تعهد عروج بعدم التعرض للملياني ونسله ومن تعلق به ...فقد ظل الملياني وأتباعه مؤيّدين للعثمانيين كما حافظ هؤلاء على التزامهم له ولطريقته وأولاده وأتباعه"[1].إذن عرفت الشلالة الظهرانية عدة طرق صوفية منها الرافضة للسلطة العثمانية من مثل التيجانية التي تحمل اسم صاحبها سيدي أحمد التيجاني ،والمؤيّدة لها من مثل الشاذلية التي نشرها في المنطقة الملياني وربّما كان التفّوق للطريقة التيجانية في البداية نظراً للمقاومة التي أبداها أهالي القصر في البداية مع الأتراك .

*- **أحمد ابن يوسف الملياني**:ولد بتليوانت قرب معسكر،أو بقلعة بني راشد،أو في قورارة الصحراوية سنة 1436،1432أو 1440،هناك اختلاف حول أصله قد يكون بربريا زناتيا-كما يوحي بذلك لقبه المريني واستعماله للهجة الزناتية إبان حياته- أوشريفا حسب بعض النسابيات.فرض نفسه على العرب المثقفين والأميين،درس في بجايةفي زاوية الزروق البرنوسي حيث توج مقدما في الطريقة **الصوفية** الشاذلية،كان كثير التجوال -بين فجيج والشلالة.ا نظر بن عمارة خليفة سيرة البوبكرية ص 58.

[1] - **المرجع السابق،ص،470.**

المبحث الخامس :الشلالة خلال الاستعمار الفرنسي:

لابد من الإشارة إلى أن الاستعمار الفرنسي دخل المنطقة متأخراً بالمقارنة مع الشمال، لكن نظرا للأهمية الإستراتيجية للجنوب الوهراني ومحاولة فرنسا السيطرة على الصحراء،ومراقبة الطرق التجارية الصحراوية وكذا قطع الطريق أمام الأمير عبد القادر الذي حاول إحياء المقاومة في الجنوب الغربي الجزائري والذي احتضنته قبيلة حميان في البداية ،استخدمت فرنسا القوة العسكرية لإخضاع المنطقة فقد قرر " الجنرال كافينياك معاقبة حميان لاستقبالها الأمير عبد القادر "[1].ونتيجة التعذيب والنهب الذي تعرضت له قبيلة حميان والقصور المجاورة اضطر الكثير من الأهالي إلى الهجرة صوب المغرب الأقصى .لماذا القصور؟لأنّها" احتضنت الأمير عبد القادر الذي طارده العقيد رونو في 1846"[2] وحاصره في ولاية البيض،فدخل إلى الشلالة قادما من عقلة الحمام ففتحوا له الأهالي القصر ووفروا له الحماية فأعطوه المئونة و ستين (60)شابا بمثابة حزام أمني لصدّ العدو توفوا كلّهم في الأخير،واستطاع الأمير عبد القادر الفرار رفقة جماعة من الشلالة كما تبيّنه الرواية الشفوية، ولاحقته فرنسا وانتقاما من أهالي القصر "عملت فرنسا على تدمير و حرق جزءا من القصر"[3] .ومن بين ما أحرق المكتبة الخاصة بالمسجد وأخذت باقي الكتب الثمينة ،وتذكر الرواية الشفوية إنّ الأمير رجع مرتين لتعزية أهالي الضحايا.

---

[1]–**أندري برنيان وآخرون**،الجزائر بين الماضي والحاضر.ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984،ص،289.

[2]– **François Cominardi** opcit,p 50.

[3] –Ibid p,50.

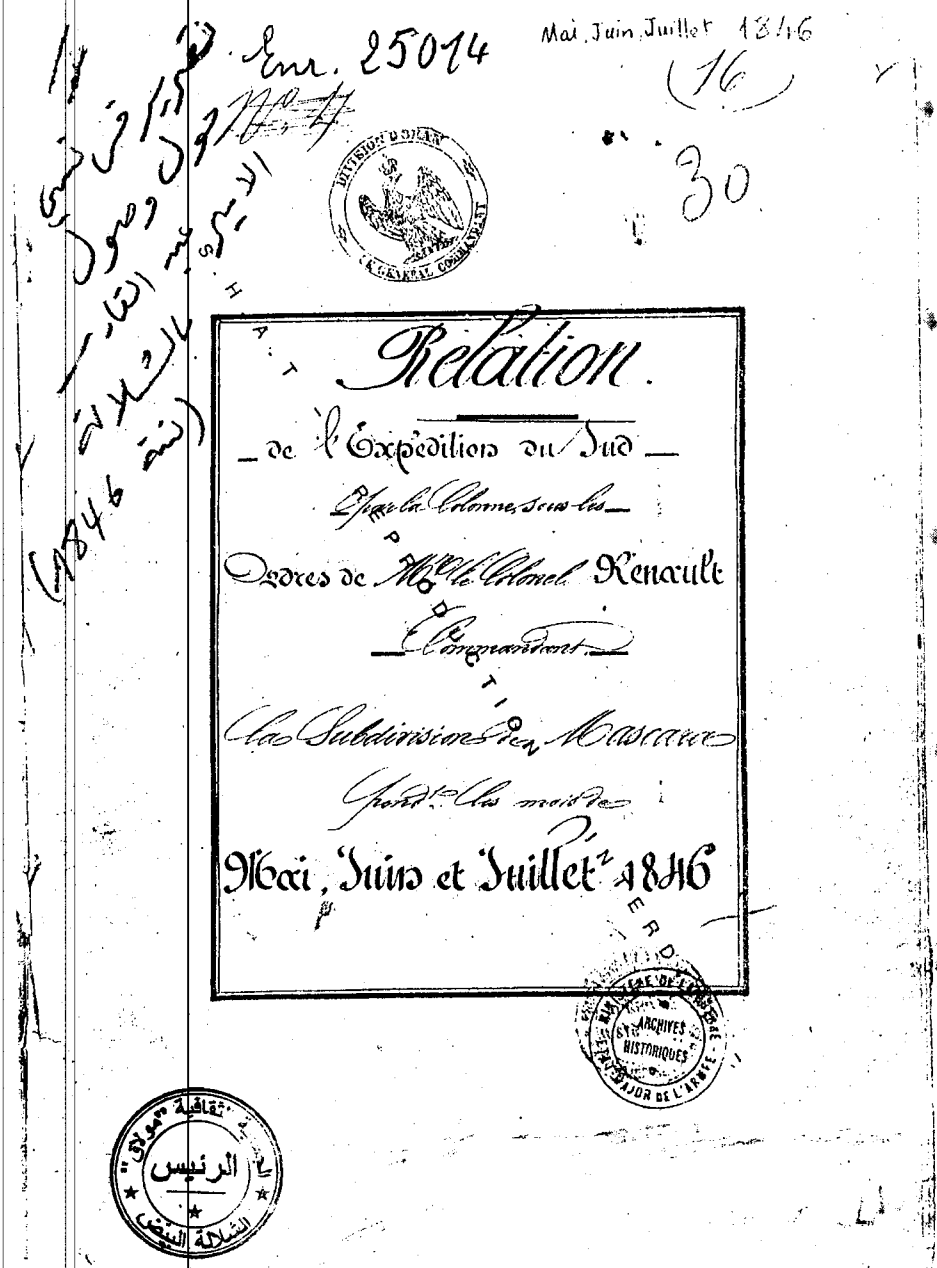

وثيقة خاصة بالتقرير حول وصول الأمير عبد القادر إلى الشلالة

لقد عرفت الشلالة الظهرانية مرور الوحدات الفرنسية التالية:

-1847/23/21 الجنرال رونو.

1853/04/16 العقيد ديريو.

-1-1855/12/4 العقيد دي كوليستين.

-1865/04/07 العقيد دي كولومب الذي كان عنيفا مع الأهالي والذي هزم في معركة"ثنية الطرد"هذه المعركة لتي سميت بيوم الشلالة و التي تغنى بها الشاعر أحمد بن دالة العامري:[1]

يَالحَاضَرْ عُودْ الأَخْبَارْ وشْتَاه صَارْ عْلىَ نْهَارْ الشَلَالَة فِي الزْمَانْ مَعْدُودْ

سَعْدْ نْهَارْ الشَلَالَة خَرْجَتْ الْمحَلَة جَاتْ ثَمَا الخَيَالَة مَا بْقَى المَحْحُودْ

جَاتْ ثَمَا الخَيَالَة فَزْعَتْ القْبَالَة عُدْتْ دَايَرْ دَوْلَة وبَهْتَتْ كِيْ المَغْدُودْ

رَاهْ فِي الشَلَالَة مَحْصُورْ بَيْنْ الْقْصُوْر مَرْ ذَا الْكَلْبْ غْدَا مَدْمُورْ سَحْقَهْ البَارُودْ

لَوْ مَا ذُرِيَة حَمْزَة لَوْ بْقَى مَالْكْهَا بُورَانْ

مِنْ أَيْنْ نَادَى رَبُ الْعِزَة جَاءَ مُحَمَدْ وسْلَيْمَانْ

فَكْ العِبَادْ مِنَ الْلزَة قَامْ بِهَا واشْرَحْ الأَدْيَانْ.[2]

-11-1868/04/12 العقيد كولونيو.

من هنا تتبن الحملات الفرنسية المتكررة والمتوالية على منطقة القصور بهدف إخضاعها وكذا مراقبة تحركات أولاد سيد الشيخ الذين كانوا يسيطرون

---

[1]- IBID ,P 50.

[2] -هذه القصيدة موجودة لدى الباحث جبري الحبيب الساكن بالشلالة الظهرانية.

على الطرق التجارية الأمر الذي عجل بثورة أولاد سيد الشيخ التي أعطت دروسا لفرنسا وهلك فيها طابور العقيد كولونيو.بعد هذه الثورة عرفت الشلالة حدثا هاما وهو مقاومة بوعمامة التي مرّت بمراحل كثيرة كان وقعها كبيرا على منطقة جبال القصور ،وارتبطت مرحلة من مراحلها بمعركة هامة وكبيرة تركت أثرها العميق في نفوس المستعمر الفرنسي سلبا وكانت لها أهميتها الإيجابية لأنصار بوعمامة و أتباعه وهي معركة الشلالة .من هو بوعمامة[1] وماهي مراحل المقاومة ؟وكيف نجحت معركة الشلالة؟ وماهي نتائجها على القصر ؟وماهو دور القصر في هذه المعركة ؟

"بوعمامة ينتمي إلى قبيلة أولاد سيد الشيخ الغرابة ،كان ميلاده حوالي 1833م الموافق ل1251هجرية بمغرار بالعين الصفراء "[2].وقد سمي بوعمامة لأنّه على عادة العرب ،كان يزيّن عمامته التي هي حايك فيلالي بخيط قطني مصنوع من وبر الإبل أو شعر الماعز ،عرفت عائلة بوعمامة بتقواها الدّيني

---

[1] **بوعمامة** :هو محمد بن إبراهيم بن التاج بن عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن ليلى بن عيسى بن أبي يحي بن معمر بن سليمان (الملقب بن عالية) بن سعيد بن عقيل بن حفص (الملقب حرمة الله) بن عساكر بن زيد بن حميد بن عيسى بن الشاذلي بن محمد الملقب بالشبلي بن عيسى بن زيد بن طفيل (المدعو الزغاوي) بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمان بن سيدنا أبي بكر بن أبي قحافة عثمان بن عصار بن عمر بن كعب بن أسد بن تميم بن مرة نقلا عن الملتقى الوطني حول حياة الشيخ بوعمامة المجاهد المتصوف والقائد العسكري النعامة يوم 9-11 أفريل 2001.

[2] –**بوداود بلعرج**،جوانب مضيئة من حياة رائد المقاومة الشعبية،جريدة الخبر،السبت24ماي1997 ص 27.

*–**جريفيل** :مدينة البيض حاليا نسبة إلى العقيد جيري

وحرصها الشديد على تطبيق التعاليم الإسلامية ،لذا حظي الشيخ بوعمامة بتربية أصيلة على يد مشايخ مشهورين أمثال الشيخ مصطفى بن محمد الطيب بن يعقوب.استطاع بوعمامة أن يؤسس الزاوية العمامية سنة 1875 المناهضة للاستعمار الفرنسي إذ رفع لواء الجهاد كما أزال مفاهيم البركة الموروثة عن الأجداد حيث كان يعتقد أن البركة لا تورث وإنّما لكل بركته حسب عمله وتقواه.استطاع بوعمامة أن يقرب كل الأهالي حوله وكثر أنصاره في الجنوب الغربي والصحراوي والقصور لهذا بدأت فرنسا تلاحق بوعمامة ."لقد كانت مناطق الجنوب الغربي الجزائري قبل 1847شبه مستقلة لم تخضع لهيمنة الاستعمار ماعدا وجود المركز العسكري الوحيد بمنطقة البيض(جيريفيل)* سنة1853"[1].

لقد سبقت مقاومة بوعمامة في المنطقة مقاومة الأمير عبد القادر الذي احتمى بالقصور وخاصة أهالي الشلالة وثورة أولاد سيد الشيخ لكن بعد التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي بدأ بوعمامة يستعد لإعلان الجهاد ضد المستعمر جعل من قصر مغرار مركزا لانطلاق العمليات الجهادية والعسكرية ."أنشأ بوعمامة معملا لصناعة الأسلحة كالبنادق بإشراف رجل يدعى ابن كعوان ،وصناعة الذخيرة وكانت مئونة الجندي الواحد 50 خرطوشة إلى جانب ذلك شراء الأسلحة وسلبها من العدو"[2].

---

[1] -**عبد القادرخليفي**: الغرب المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة،دار للنشر والإشهار،الجزائر،2004،ص62.

[2] -**بوداود بلعرج** ، المرجع السابق.ص 27.

معركة الشلالة:قام بوعمامة بتحضير جيش قوي ضم مختلف القبائل من أولاد سيدي أحمد المجذوب والطرافى و العمور و حميان و أهل القصور، وبني قيل وأولاد جرير و دوي منيع والشعانبة "[1].كان هذا لمواجهة الجيش الفرنسي في منطقة تازينة (الشلالة)دامت المعركة أكثر من أسبوع.لقد تحركت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال كولونيو دانسي Colonieu Danci الذي تخلى عن القيادة للعقيد إينوسونتي Inoconti على إثر مرض وتحرك هذا الأخير متوجها إلى الشلالة يوم 1881/04/14حيث" قيّم قرول graulle القوات الشعبية بحوالي 1500 فارس ،1200 مشاة بالمقابل قوات الخصم كانت محددة بالأرقام ومضبوطة :ثلاث فيالق مشاة تحت قيادة العقيد سويني swiney .أربع فرق من الصياد الإفريقي رقم04 تحت قيادة العقيد إينوسونتي ،فرق مدفعيات ،مختلف المصالح الملحقة ثلاثة قوم من سعيدة فرندة وتيارت ،قافلة تتكون من 2500 جمل يقودها 600مرافق"[2] .لقد جرت المعركة يوم1881/05/19 إذ أقلع طابور الشيخ بوعمامة من الشلالة الظهرانية في اتجاه الشرق وفي اليوم نفسه التقت قواته مع القوات الفرنسية بالمكان المسمى المولاق قرب الشلالة الظهرانية في جبال القصور "ففي هذه المرحلة جرت موقعة المولاق الشهيرة بين الجيش الفرنسي والثوار وخلالها أيضا سار بوعمامة وأتباعه مسيرتهم الطويلة نحو التل"[3]لقد خاض الثوار المجاهدون رغم

---

[1] –**مباركي عبد المجيد**،المرجع السابق،ص،29.

[2]– **Djilali sari** , linsurection de 18811882,SNDF,Alger,1990,p,97.

[3] –**عبد الحميدزوزو**،ثورة بوعمامة 1881-1882،المركز الوطني للدراسات التاريخية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981،ص-ص،7-8.

الفرق الموجود في العدّة والعدد معركة حاسمة انطلق فيها بوعمامة من الشلالة عكس المعارك الأخرى التي كانت تنطلق من مغرار تسلحوا فيها بالإيمان وأعطوا للعدو درسا في الكفاح والثورة إذ أحدثوا ارتباكا في القوم مما أحدث فوضى داخل الجيش الفرنسي فتراجعوا خلف القوافل فتم القضاء على الصيادين بما فيه الملازم لانيريlanyrie إذ ابتعدت الجمال عن مسرح العمليات وانفصلت عن الجيش .هذه الضربة لقيت صدى في البلاد مما جعل السلطة العسكرية تمنع القوم من نشر خبر انتصار بوعمامة في طريقها إلى البيض ،لكن الخبر شاع إذ بدأت الأخبار تصل إلى الشمال الشرقي حيث ابتهج سكان جبال القصور لهذا النصر وانضموا إلى الحركة الثورية حيث أنّ مجرد سماع خبر قدوم بوعمامة يجعلهم ينفذون أوامره دون نقاش . يوم 1881/05/25 قام بوعمامة بمداهمة 20من القوم من قبيلة لمرابطة الغرابة وقائدهم الطيب بن حمو الذي كان يُؤَمِن وصول المعلومات للعدو لكنه انضم بعد الهزيمة إلى صفوف بوعمامة لإقناعه بشهادة وحكمة زعيم الثورة"[1]. ولمواجهة انتصارات الشيخ بوعمامة المتتالية قامت السلطات الفرنسية بإرسال قواتها إلى الجنوب الغربي من أجل تطويق الثورة والحد من نفوذ بوعمامة فقد" قام العقيد نيقري بمعاقبة كل القبائل التي شاركت مع بوعمامة وكانت البداية بتهديم زاوية الأبيض سيد الشيخ"[2].

وفي يوم 1881/05/21قام العقيد اينوسونتي بدفن أحد ضباطه وحرق درب أولاد زيان بالشلالة ،وفي يوم1881/08/12 أعدم العقيد نيقري بعد

---

[1]– **Djilali SARI**,opcit, page,100.

[2] –**عبد القادر خليفي،المرجع السابق،ص،79.**

مهاجمته للقصر ثلاثة شبان من سكان القصر بتهمة نـــبش قـــبر الـــضابط المدفون"[1] الشبّان الثلاثة الذين أعدموا هم على التوالي (العربي بـــن عـــزوز و العربي بن كروم وبن عنان). (.انظر الصورة).

تنفيذ الإعدام في حق ثلاثة شبان

[1]– **François Cominardi,**OPCIT,P,50

وحسب الرواية الشفوية فإنّه بعد حرق درب أولاد زيان فلـــم يبـــق في القصر إلاّ المستّضعفون أما الباقي فقد أكمل المسير مع بوعمامة بعد النصر الذي حققه .يذكر شاعر الشلالة كربوب أحمد أبياتا يمجد فيها بوعمامة .

زَعِيْمْ الصَحْرَاء الشَلَالَة تَشْتِيْكْ مِنْ القَرْنْ اللِي فَاتْ بْقَاتْ أُوصَايَة
وُوُصَايَة وْبْقَاتْ فِي الفِكْرْ تْحَيِيكْ حَيِيناَكْ اليْوُمْ فَخْرَا وعِنَايَة
هَيْكَلْنَا دَشَنَاهْ مَجْدَا وَوَاتِيْكْ يَبْقَى فِي التَارِيْخْ فِي القْصَرْ هْنَايَه
غَدْرُوهَا الأَتْرَاكْ والبَايَاتْ خَلُوهَا فِي الشُوْم مَسْبِيَة
شْحَالْ شْيَاخْ مْشَاتْ مَا وَلاَتْ فِي البْحَرْ المُحِيْطْ مَنْفِيَة.[1]

إنّ انتصار بوعمامة على الفرنسيين كان باعتراف الفرنسيين إذ يؤكد هذا الأمر محرّر صحيفة le petit fanal الصحفي بيـــزي bezy فيقـــول "وصلتنا معلومات هامة وأكيدة ،مؤدّاها أنّنا قد فدينا عددا مـــن الأســـرى الفرنسيين من خصمنا،وبذلك كنا على صواب إذ لا يمكننا فعل شيء آخر، لكن و رغم ذلك فإن الأمر مخجل حقا ،فقـــد أجبرنـــا علـــى التفـــاوض مع "حضرة" بوعمامة الند للند"[2].كان هذا المقـــال بعـــد شـــهر ونـــصف من معركة الشلالة .ورغم مغادرة بوعمامة لمنطقة القصور عامـــة والـــشلالة خاصة إلاّ أنّ المنطقة لم تهدأ نهائيا وظلت تواصل الغارات علـــى الفرنـــسيين بحيث تمكّنت من مهاجمة وزير الحربية الفرنسي جونار في ماي 1903خـــلال

[1] –هذه القصيدة موجودة عند الباحث جبري الحبيب بالشلالة الظهرانية.

[2] –**عبد القادر خليفي** ،المرجع السابق،ص،79.

زيارته للمنطقة وهنا يشير لورو "إنّ جرأة البربر قد أصبحت عنيفة إلى درجة التردد ومهاجمة موكب جونار قرب فقيق للإطلاع على الوضع شخصيا "[1] .

إنّ هناك حدثاً مهماً في تاريخ الشلالة الظهرانية هو فتح مدرسة فرنسية سنة 1909 تواصلت فيها الدراسة حتى سنة1919 وهذا من أجل طمس الهوية الوطنية وغرس الثقافة الفرنسية في نفوس أهالي القصر الذين تمردوا كثيرا على فرنسا وانضموا إلى مقاومة الأمير عبد القادر ،وثورة أولاد سيد الشيخ ،ومقاومة بوعمامة لكن هذا زاد أهالي القصر إصراراً على مناهضة الاستعمار رغم تزايده بالمنطقة حيث ظل أهالي القصر يمدون جيش التحرير بالمئونة، وانضم الكثير منهم إلى جيش التحرير حتى من النساء.

[1]- **LEHURAUX**,le conquérant des oasis,colonel teodor pein,paris,1935,p,145.

الفصل الثاني:

العمارة الدينية

المبحث الأول: المسجد

المبحث الثاني: الأضرحة

العمارة الدينية

المبحث الأول : المسجد

المسجد هو الموضع الذي يسجد فيه، وكانت هذه الكلمة هي المستعملة في البداية للدلالة على أمكنة العبادة.المسجد هو مؤسسة دينية ، واجتماعية، وسياسية وتربوية واقتصادية..من المعروف عن المسجد هو إقامة الصلوات الخمس به، و صلاة الجمعة وسمي مسجداً لأنّه مكان للسجود لله، ويطلق على المسجد أيضا اسم الجامع وخاصة إذا كان كبيراً"فأغلب المدن الجزائرية كانت تشمل مسجدا يطلق عليه الجامع الكبير وهو المسجد الذي اشتهر بين الناس إما لقدمه أو لسعته "[1] فإنّ المساجد بيوت الله تعالى فيها يتلى كلامه ، ويتعبد بالصلاة له ، والاعتكاف ، وطلب العلم ، وسائر العبادات ، قال سبحانه ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[2].

في الحديث العامي تستخدم الكلمتان (مسجد وجامع) وكأنّهما مترادفتان في معظم الدول العربية .وفي بعض الأحيان تستخدم الواحدة للتعبير عن الأخرى.المسجد هو المكان المخصّص للصلاة و القراءة والذكر والدعاء

---

[1]-**أبو القاسم سعد الله** ،المرجع السابق،ص244.

2-من سورة النور الآية 36-37.

وتقام فيه صلاة الجماعة ويؤذّن فيه للصّلاة ووجّه نحو القبلة و جعل له محراب و مئذنة.أمّا الجامع فتقام فيه صلاة الجمعة والعيدين ويعتكف فيه نسبة للحديث الشريف ولا اعتكاف إلاّ في مسجد جامع[1]. أما لفظ جامع فكان في البداية نعتا للمسجد فقيل المسجد الجامع كما قيل مسجد الجماعة ومسجد الجمعة ،ثم أطلق لفظ الجامع على كل مسجد كبير وعلى كل مسجد تصلى فيه الجمعة ،وإن كان صغيرا كما هو الحال بمسجد الشلالة الظهرانية ولعلّ سبب ذلك أنّ صلاة الجمعة لم تكن تقام في البداية إلاّ في مسجد واحد في المدينة ،ولّما زاد عدد المسلمين في البلد الواحد أقيمت صلاة الجمعة في أكثر من مسجد واحد وعرف النّاس هذه المساجد التي تقام فيها الجمعة باسم المسجد الجامع أو باسم الجامع كما هو الحال في معظم المدن الجزائرية أمّا أماكن العبادة الصغيرة فظلت تسمى مساجد ،كما أنّه المكان الذي تقام فيه الحدود، ومركز يلتقي فيه الناس ويتبادلون قضاياهم ويتشاورون في أمورهم كما إن هناك فرق بين الجامع و الزاوية و وان كان يشتركان في الوظيفة إلاّ أنّ الزوايا يقصد بها تلك الأمكنة المعدّة خصيصا لإرفاق الواردين و إطعام المحتاجين من القاصدين"[2] .

---

[1]–حديث رواه أبو داوود.

[2]–**بن مرزوق محمد التلمساني**،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،دراسة و تحقيق ماريا خسيس بغيرا ،تقديم محمود بوعياد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981،ص413.

واشتق" لفظ الزاوية من الفعل زوى أو زوأ ويقال انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذ تدانو وتضاموا"[1] و لذلك أطلقت كلمة الزاوية على حلقة التدريس بالمساجد ،وهذا ما أكده المقريزي" أنّه كان بمسجد عمرو العتيق زوايا يدرس فيها الفقه، منها زاوية الإمام الشافعي"[2]

إنّ الزاوية بالمغرب فهي عبارة عن تجمع من البنايات ذات طابع ديني بحت ، مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل والمسافرين، ومن بين أهدافها أيضا تحفيظ الطلبة القران الكريم وتعليمهم كل ما يتعلق بالدّين الإسلامي ،و قد يطلق أحيانا مصطلح الزاوية على بناية فريدة تضم المسجد ومرافق صحية أو ضريحاً. لكن زاوية الشلالة الظهرانية التي أسّسها الأدارسة ثم قام سيدي سليمان أبو سماحة بتأسيس زاوية أخرى قامت بوظائف عديدة خاصة الدّينية منها تمّ حرقها من قِبَلِ المستعمر الفرنسي أثناء مرور الأمير عبد القادر بالقصر وتمّ تخريبها ونهب الكتب انتقاما من سكان القصر الذين آزروا الأمير عبد القادر في ثورته ضد الجيش الفرنسي[3] .إنّ المسجد جزء لا يتجزأ من النسيج العمراني للمدينة الإسلامية يتكامل معها ويترابط بها عضويا ولّما كان المسجد هو مركز الإشعاع في المجتمع الإسلامي ،بل هو محور المدينة كان على المعماري المسلم أن يتخذ موقع المسجد في قلب التجمع العمراني.

---

[1] –**ابن منظور**، لسان العرب، المجلد الثالث،تقديم يوسف الخياط ،دار لسان العرب ،بيروت بدون تاريخ، ص85.

[2] –**المقريزي تقي الدين أبو العباس**،كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار،مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع ،ج2،القاهرة،ب ت ث،ص215

[3]-François cominardi,opcit,p,50.

إنّ جلّ القصور بها جوامع عتيقة، ومسجد الشلالة الظهرانية يدعى هو الآخر بالمسجد العتيق يتوسط القصر وجاء طبقا للمواصفات المذكورة مما يسهل الوصول إليه من جميع الجهات والأدرب ذلك لأنّ "المسجد يحتل المركزية كموقع أساسي نظرا للدور الذي يلعبه كنقطة استقطاب وتوحيد لأطراف الجهاز(المدينة)"[1]

المطلب الأول : تخطيط المسجد :

لقد كان للفتوحات الإسلامية أثرها العميق على جميع الأصعدة ، علوم وفنون خاصة فنّ العمارة ،حيث انعكس هذا إيجابا عليها إذ ظهرت طرز معمارية باهرة نلمسها في القصور ،والمساجد ،والبنايات التي شيّدها المسلمون وما زالت آثارها حتى اليوم فوجود كثير "من العنّاصر المعمارية المختلفة في الفن الإسلامي كانت نتيجة عدة مؤثرات ،ينسب بعضها إلى فنون سابقة كالفنون البيزنطية و الساسانية "[2].

كما أدّى المناخ هو الآخر دوره في تحديد شكل البناء و موقعه ،كتأثير الرياح و الشمس،علاوة على دور العامل الدّيني و المقدس.

انطلاقا من هذه العوامل يمكن طرح الأسئلة التالية :إلى أي عمارة ينتمي مسجد الشلالة الظهرانية ؟ماهو شكل البناء من الداخل والخارج ؟كيف هو المدخل ؟ما نوع الأعمدة والأقواس ؟كيف هو شكل المحراب والمنبر ؟ماهو شكل المئذنة ؟هل هوطراز المربّع أو، الحلزوني أو المستطيل ؟من خلال هذه

---

[1] -**إبراهيم بن يوسف** ،إشكالية العمران والمشروع الإسلامي ،مطبعة أبو داوود،1992،ص81.

[2] -عفيف بهنسي،الفن العربي في بداية تكوينه،ط1،دار الفكر ،دمشق،1983.ص،53.

الأسئلة سيتضح لنا ماهو طراز العمارة السائد والغالب على قصر الشلالة ؟هل عمارة المسجد تقليد ومحاكاة للفنون الأجنبية السابقة أم هناك تجديد وإبداع؟

لقد بنى أهل الشلالة الظهرانية المسجد العتيق وهو من أقدم مساجد القصور إذ يعود حسب مؤرخ المنطقة الفرنسي فرانسوا كوميناردي إلى 920هجرية[1]، ومن حوله المرافق العمومية ،و الشوارع الرئيسية بحيث تنتهي عنده كل الدروب والأزقة والشوارع ،حيث يسهل على السكان الوصول إليه تحقيقا للعدالة والمساواة فالمسجد يعكس التوسط والاعتدال والتساوي بين كل الناس فهو ملك العامة.إنّ الهدف من الوسطية هو إرضاء جميع الأطراف وتسهيل الارتفاق بالجامع،لكافة السكان غير أنّ بعض المدن الإسلامية عرفت إنشاء جوامع غير مركزية كالمسجد الجامع بسمراء والجامع الأزهر بالقاهرة"[2].بني مسجد الشلالة على شكل شبه مثلث، (انظر المخطط في الصفحة الموالية).

---

[1] -François Cominardi,op-cit,p46.

[2] –**محمد عبد الستار عثمان** ،المفهوم الإسلامي لتخطيط المدينة الإسلامية ،مجلة المنهل العدد 454 ماي جوان 1987،ص235.

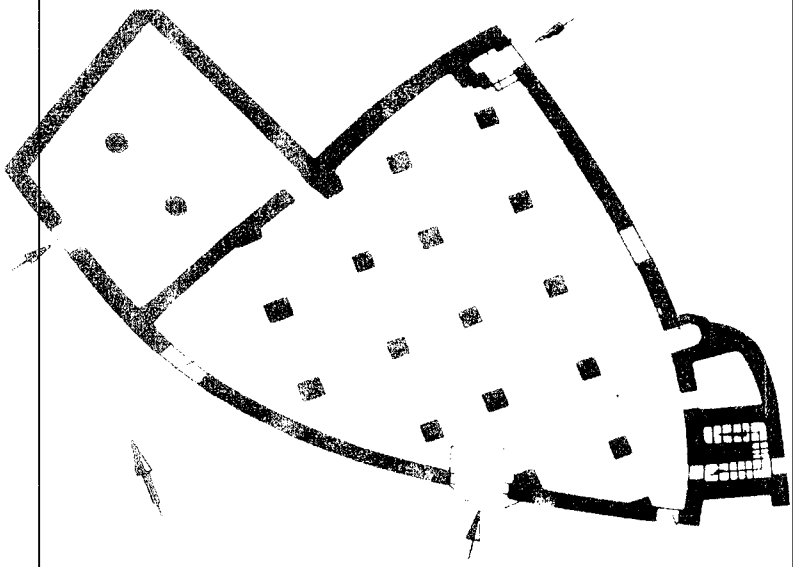

مخطط المسجد

مخطط المسجد

ونظرا لأنّ العقيدة تتطلب أن يقف المصلون في خطوط مستقيمة ،و من ثم يكون الامتداد عرضا وليس طولا وهذا ما توفر بهذا المسجد حيث إنّه بإمكان المصلّين أن يصطفوا مقابلين جدار القبلة ،وهذا ما تفرضه العقيدة التي تحدد جوهر التصميم في المباني الدينية .

لقد جاء بيت الصلاة في شكل غير منتظم بحيث إن الجدار الموازي لجدار القبلة هو على شكل قوس ينحني كلمّا اتّجهنا عن الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ،أمّا عن المقاسات فهي كالتالي جدار القبلة ستة عشر مترا وخمسة وأربعين سنتيمتراً(45. 16م) والجدار الموازي لجدار القبلة يساوي خمسة عشر وثمانين سنتيمتراً(15.80م)، والجدار الشمالي أحد عشر متراً وعشر سنتيمترات 11.10م.

وفُتِحَ ببيت الصلاة باب صغير على يمين المنبر بـ1.6م يؤدي إلى الطابق العلوي للمئذنة عن طريق أدراج.

ويوجد بالمسجد مدخلان رئيسيان ،يؤدّي الأول مباشرة إلى بيت الصلاة وهو موجود في الركن الغربي مقابلا للمنبر بقياس يقدر بمتر وخمسة وثلاثين سنتيمتراً(1.35م) عرضا و مترين وثلاثين سنتيمتراً (2.30م) طولا يصعد إليه بواسطة درج ،يتكون من ثلاث درجات منخفضة الارتفاع عددها ثلاث (03) درجات .

أمّا المدخل الثاني فهو صغير يقع في الرّكن الشمالي للمسجد على يسار المحراب بحوالي (9.30م) عند الدخول من هذا الباب يقابلنا حائط منكسر ومكان لوضع الأحذية ،وبالانحناء يسارا باب آخر صغير أعلاه زخرفة فالباب الأول يقع بدرب أولاد حمزة ،أما الثاني فيقع بدرب أولاد خنفر .

وإذا رجعنا إلى بيت الصلاة نجد هذا التخطيط منتشرا بشكل كبير في عمارة المساجد بالجنوب الغربي ،ولكنه يمتد إلى مناطق أخرى مثل ماهو موجود في جامع المهدية بتونس"[1] وفي بعض المساجد المرابطية وكذا العثمانية أيضا"[2].

إنّ هذا النوع من بيوت الصلاة عام بالنسبة للجوامع الصحراوية لكن هل هذا ابتكار محلي أم هو ناتج عن تأثير خارجي ؟

---

[1]– **A.LE ZINE,** Mahdia, société tunisienne de diffusion, 1968, p22.

[2] -R. BOUROUIBA, Apport de l' algerie a l' architecture religieuse arabo-islamique,ENL, OPU,Alger,p24.

إنّ التأثير واضح لأنّ منطقة الجنوب الغربي الجزائري عرفت هجرات مختلفة منذ الفتح الإسلامي وملجأ للمطاردين من الدول المختلفة، ونقطة عبور للقوافل التجارية.

كما أنّ الطّابع المحلي لا يمكن إنكاره لأنه يتلاءم وعادات المنطقة بالإضافة إلى أنّ هذا النوع من التخطيط يُمَكِنُ من وقوف أكبر عدد من المصلّين بالصفِّ الأوّل مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ألا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ ربِهَا"[1]

المطلب الثاني :الفتحات والكوات:

مثل باقي مساجد المناطق الصحراوية يحتوي مسجد الشلالة الظهرانية على فتحات مرتفعة عن سطح الأرض تقلل من شدّة نفاذ أشعة الشمس المنعكسة لداخل المسجد،وحماية من فيه من شدّة الإبهار والحرّ صيفا و الغرض منها الإضاءة و التهوية الداخلية التي ترتبط بنسبة الفتحات بواجهة المسجد لهذا نرى مساحة الفتحات قليلة للحد من حركة الهواء و تكون هذه الفتحات في اتجاه الرّياح ،ولقد حدّد لها سمك معين ،وأماكن معينة واتساعات مقدرة لإدخال القدر الكافي من الهواء (انظرالصورة)

[1] –رواه مسلم

المدرسة القرآنية، ثلاثٌ (3) منها فوق بعضها البعض ،والرابعة في الجدار الشمالي آخر فتحة موجودة على يسار المحراب ،مجموع الفتحات بمسجد القصر تسع (9)، ونافدة كبيرة ،أمّا القبة تحتوي على أربعة فتحات متقابلة دورها الإضاءة والتهوية(انظر الشكل).

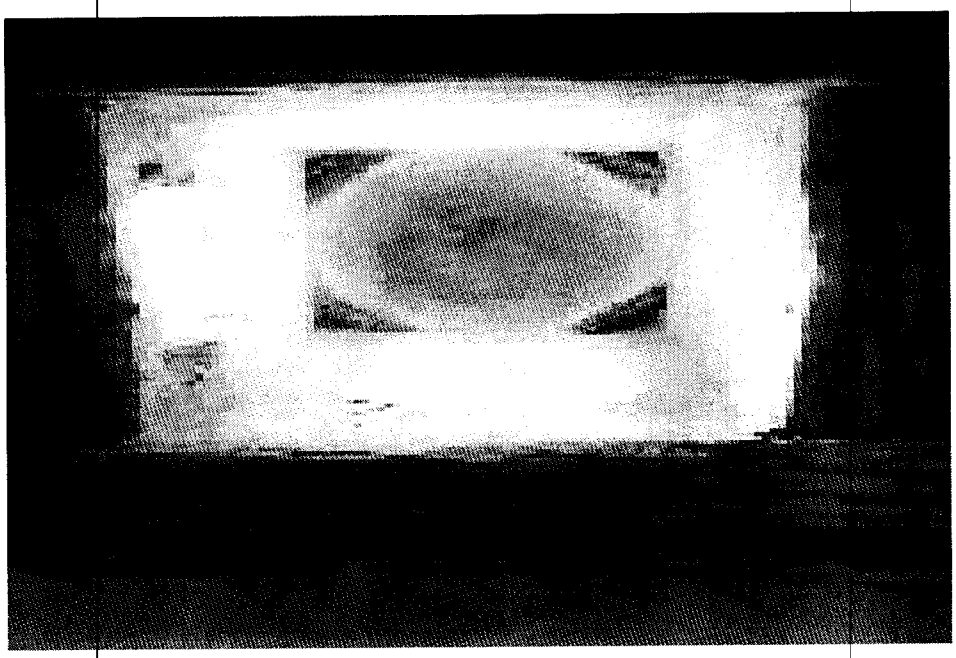

شكل القبة من الداخل

ولأنّ الجدران تلعب دورا أساسيا في حماية الفراغات الداخلية للمبنى في المناطق الحارة من التغيرات في درجة الحرارة، لذا نرى أنّ المعماري في الشلالة الظهرانية اتخذ بعض الإجراءات اللازمة عند تصميمها للحدّ من نفاذ الحرارة إلى الداخل ،فبنا الجدران المزدوجة لأنّ الهواء المحصور بين أجزاء هذه الفراغات الداخلية يكون عازلا لهذه الحرارة .

أمّا الكوات تستعمل لوضع وسائل الإنارة ليلا وأغراض أخرى كوضع الأحذية الخاصة بالمصلين، وقد احتوى بيت الصلاة على ثلاث عشرة كوة

الوطن العربي والإسلامي يفضل بعض العقود عن الأخرى ومن العقود المستعملة نجد نعل الفرس وقد شاع استعماله في الأندلس والمغرب العربي.لقد اهتم العرب في العصر الإسلامي بعمارة المساجد،وكانت تبنى على شكل صحن مكشوف وحوله إيوانات مسقوفة وأهمّها إيوان القبلة أو بيت الصلاة وكان السقف في البداية يصنع من الجريد وسعف النخيل ،ويحمل عل عمد فوقها العتاب التي تحمل السقف ثم تطورت العقود إلى العقود الحجرية التي يستعاض بها عن الأعتاب الخشبية العادية .و ما نلاحظه في مسجد الشلالة أنه استعملت العقود بشكل كبير و ذلك لوصول الدعامات بعضها البعض و كذا بغرض توزيع ثقل السقف و إسناد العوارض الخشبية ،و هذا العقد من نوع الأسقف الدائري و الذي هو مستعمل إلى يومنا هذا و عرفته العمارة الإسلامية كما هو واضح في مختلف المعالم الأثرية ، "غير أن مجال استعماله بدأ يتضاءل شيئا فشيئا نتيجة ظهور أنواع أخرى من العقود و الإقبال بشغف من طرف المعماريين المسلمين "[1].

المطلب الخامس: المحراب :

على الرغم من أنّ المحراب لم يكن معروفا في العصر الإسلامي المبكر "فكان أول نموذج لمحراب مجوف في المساجد هو ذلك الذي صنع بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، ثم انتشر بعد ذلك المحراب المجوف في مساجد الأمصار الإسلامية حيث كان مسجد عمرو بن العاص بمصر ثاني مسجد صنع له محراب مجوف. ومنذ ذلك الوقت اهتمّ المسلمون

---

[1] –**فريد الشافعي**، العمارة العربية في مصر الإسلامية ،عصر الولاة،المجلد الأول ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1970،ص–ص201–203.

بهذا العنصر الروحي فأبدعوا فيه أشكالا مختلفة تراوحت بين المسطح ومتوسط التجويف وعميقه"[1] ."لقد وردت لفظة المحراب في القرآن الكريم وفي المعاجم اللغوية بمعانٍ متعددة، وإن كانت متقاربة في أغلب الحالات"[2]. إنّ المحراب صدر البيت، وأكرم موضع فيه والجمع محاريب".إن الصبغة القدسية للمحراب واضحة في القرآن الكريم،إذ ذكرت كلمة محراب أربع مرات:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[3]،وقوله تعالى:﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [4] ،وقوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةً وَعَشِيّٗا﴾[5]. هذا يدلّ على المكانة التي يحتلها المحراب في الإسلام لذا رأينا أنّ الخلفاء في المجتمع الإسلامي أعطوه كل العناية و الاهتمام حيث أدخل المعماري المسلم على عنّصر المحراب ابتكاراً إسلامياً انتشر منذ العصر الإسلامي المبكر وهذا الابتكار يتمثل

---

[1] –**محمد طيب عقاب** ،لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر بدون تاريخ،ص84.

[2] –**نجاة يونس**، المحارب العراقية، بغداد، 1976، ص159.

[3] –من سورة آل عمران، الآية37.

[4] –من سورة آل عمران ،الآية39

[5] –من سورة مريم الآية،11.

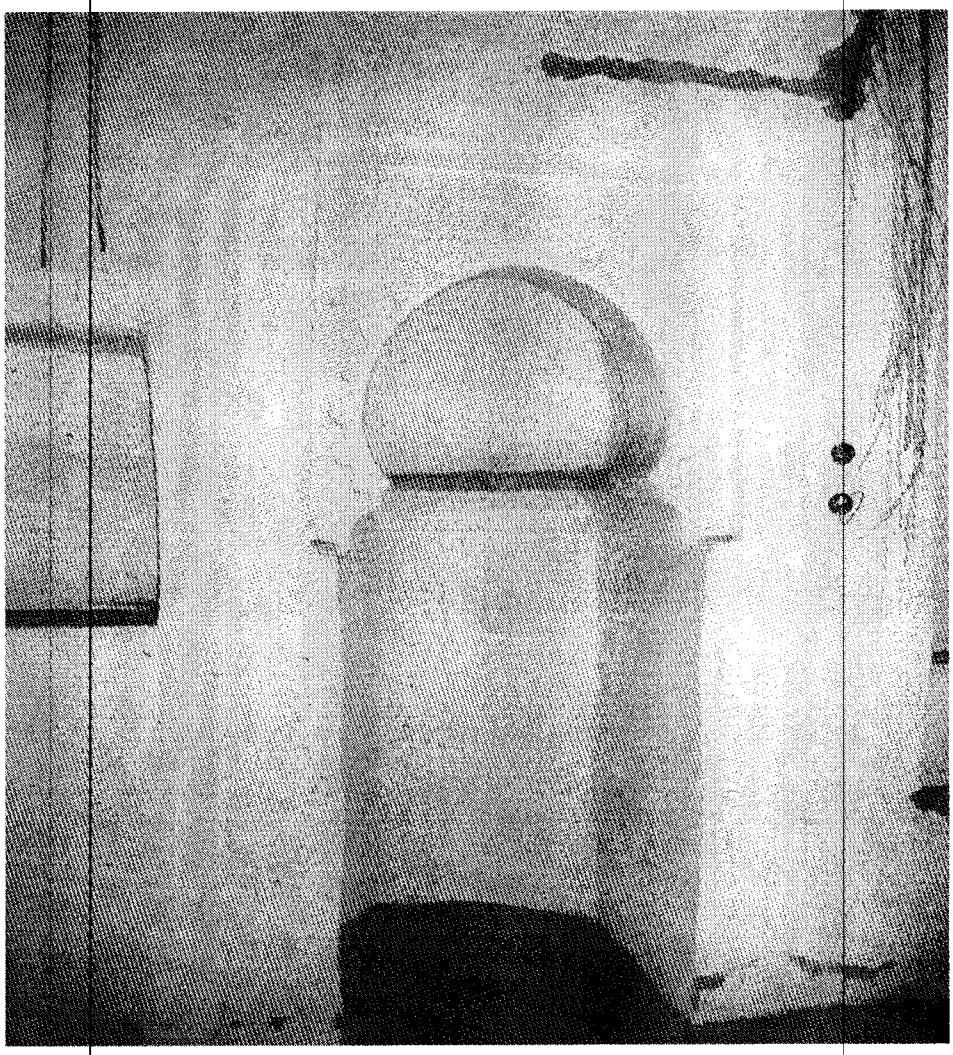

محراب المسجد

وقد لاحظت بعد زيارتي لمسجد الشلالة الظهرانية أنّ المحراب لا يتوسط جدار القبلة عكس ماهو عليه في الكثير من المساجد حيث نجد المحراب يتوسط جدار القبلة ،ربما هذا يعود إلى صغر المسجد وعدم انتظام شكله.إنّ محراب مسجد الشلالة يقع في محور واحد مع المنبر،يقعان في البلاطة الوسطى وذلك ليسهل على المصلّيين رؤية الإمام في المحراب ،أو المنبر . إنّ عمق المحراب يختلف من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي إذ لا يتعدى 60سم الى80سم في بلاد المشرق وهذا لا يسمح للإمام الصلاة داخل

المحراب ،على حساب صف المصلّين ،لكن في بلاد المغرب عمد المعماري المسلم إلى تعميق المحراب ليصل إلى مترين(2م) أحيانا ،وهذا ما تدلّ عليه محارب كل من جامع الزيتونة وجامع تلمسان ومحراب جامع الكتيبة بمراكش"[1].كانت تجاويف المحارب تبطن وتكسى بمواد كالجص والرخام والشرائط المزخرفة بالفسيفساء وهذا ما توفر بمساجد المغرب العربي وحتى الأندلس "[2].وهذا مالا نلمسه في مسجد الشلالة الظهرانية إذ نرى أنّ المحراب خاليا من كل زخرفة أو نقوش فقد جاء بسيطا بساطة سكان القصر والمنطقة وهذا ربما لأنّ الزينة والزخرفة قد تشغل قلوب المصلّين من الإقبال على الطاعة ويذهبان بالخشوع .

المطلب السادس :المنبر:

سمي منبرا لارتفاعه وعلوه،وانتبر الأمير أي ارتفع فوق المنبر وهي مأخوذة من الفعل نبر بمعنى رفع الشيء ، قد يبنى من الحجر أو يصنع من الخشب.وقد أدخل المنبر الأول في المساجد الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين بجوار المحراب ،واستعمل لأغراض التوعية الدينية والوعظ والإرشاد الديني ،وفي خطب الجمعة ،وكان يصنع هذا المنبر من أنواع الخشب الجيد

---

[1] –**محمد الكحلاوي** ،أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد ،مجلة المنهل ،العدد 519،المجلة 56،جمادى1415،ص278

[2] –**أحمد قاسم الجمعة**، أهم التأثيرات المعمارية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الإسلامي، مجلة واد الرافدين، العدد09، أيلول1978، ص185.

والملاحظ أنّ هذا المنبر ليس متحركا بل ثابتا صنع من الحجر وهو صغير الحجم يعلوه عقد نصف دائري مفصص وهذا النوع يوجد في الفنّ المرابطي والموحدي مما يتبين ملامح التأثير في فن العمارة بالمنطقة "يوجد بمسجد القرويين بفاس عقد نصف مفصص إلى تسعة..."[1] وهذا يدلّ على تأثر المعماري للشلالة الظهرانية ومحاكاته للفنّ المغربي، نتيجة الحركة التجارية للقوافل. إنّ أقدم المنابر الباقية هو منبر جامع القيروان الذي لا يزال في حالة جيدة على الرغم من أن تاريخه يعود إلى أكثر من أحد عشر قرنا ، و المنابر أنواع منها الثابت كماهو حال منبر الشلالة والمتحرك الذي انتشر في بلاد المغرب الإسلامي و لم يعرفه مسجد الشلالة الظهرانية ذلك لأنّ هذا النوع المتحرك من المنابر كان يتطلب إيجاد وضع معماري خاص لأنّها كانت توضع في حجرات خاصة تعرف ببيت المنبر وكان الغرض من المنبر المتحرك هو المحافظة على عدم قطع الصف الأول من المصلّين.إنّ وجود فكرة المنبر المتحرك دليل على ابتكار المعماري المسلم لعناصر تخضع لمطلب عقائدي إذ يأتي من إدخال المنبر إلى حجرة خلف جدار القبلة استغلالا كافة مساحة ظلة القبلة للصلاة.

فإذا كان المحراب غير عميق فسوف يحتم على أخذ حيزا من صفِّ المصلّين وكذا الشأن بالنسبة للمنبر إذا كان داخل الجدار لا يطرح مشكلا أمّا إذا كان خارجاً فإنه سوف يؤثر على صفوف المصلّين وهذا لا يطرح مشكلا بالنسبة لمسجد الشلالة الظهرانية .

---

[1]- **H ,TERASSE,**LA Mosquée d'alquarawin a fes et l'art des almoravides,art orientaux,1957p-p135-147.

المطلب السابع: القبّة:

هي بناء نصف دائري المسقط مقعر من الداخل مقبب من الخارج توجد قباب بشكل نصف كرة أو جزء من كرة مدببة أو مخروطية أو مضلعة وفي بعض الأحيان توضع لها نوافذ ،يعلو القبّة في بعض الأحيان فانوس وتتألف القبة من دوران قوس على محور عمودي لتصبح نصف كرة تقريبا.وقد استخدم في بناء القباب الطّين والحجارة أو الخشب، أو الخرسانة المسلحة كما هي قباب المساجد اليوم .أمّا من حيث النشأة فإنّها تعود إلى حضارة بلاد مابين النّهرين منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد لكن أوّل قبّة في عهد الإسلام كما يشير إلى ذلك محمد حسين جودي"هي قبّة الصخرة في فلسطين بالقدس التي بناها عبد الملك بن مروان سنة692م "[1].

نشأت القبّة في المسجد لغرض تغطية المباني المستديرة وهي من أجمل العناصر المعمارية المتعاونة على إبراز مظهر المساجد وإظهار تكوينها المتناسق مع المآذن بحيث أصبح شكل هذين العنصرين المعماريين من أهمّ عناصر تكوين المسجد والجامع بالرغم من أنّهما لم يكونا من العناصر التي ظهرت مع المسجد الأول.وكان البناء الأول بسيط يقوم على هيكل دائري الشكل من الخشب يوضع فوق الجدران لتبنى فوقه القبة من الخشب وتطلى من الداخل بالجبس لكن هناك مساجد قد خلت من القباب مثل المسجد الكبير بقسنطينة ومسجد أبي الحسن بندرومة لكن مسجد الشلالة الظهرانية فلم يخل من القبّة بل نجد به قبّة صغيرة تتوسط المسجد بها أربّع فتحات مهمتها التهوية والإضاءة .إنّ كثيراً من القباب ما كان يحلى بالزخارف

---

[1]-**محمد حسين جودي**، المرجع السابق، ص-ص74-75.

فطليت برسوم ملونة من الخزف ،وهناك ما سجل عليها آيات قرآنية أمّا في مسجد الشلالة الظهرانية فإنّ قبته جاءت خالية من أي زخرفة لا هندسية ولا نباتية وهذا حال الكثير من القباب في المغرب العربي التي كانت كروية وبدون زخارف[1].

المطلب الثامن :المئذنة[2]:كان النبي محمد (ص)وأصحابه في البداية يصلّون من غير آذان ،ثم أمر النبي(ص) بلالا أن يؤذن داعيا إلى الصلاة فكان بلال أول مؤذن في الإسلام ،كان يؤذن من أعلى سطح يجاور المسجد في المدينة،ثم صار يؤذن على ظهر المسجد نفسه ،وكانت المساجد الأولى في عهد الخلفاء الراشدين بغير مآذن وكان يحدث أن يَدْعُوَ المؤذن إلى الصلاة من سور المدينة [3]،وكان المؤذن على عهد رسول الله يؤذن من أعلى بيت في المدينة إذ يذكر عروة بن زبير عن امرأة من بني النجار قالت:كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة [4].وبما أنّ

---

[1] – **عفيف البهنسي**،العمارة عبر التاريخ،ط1،دار الطلاس للدراسات والترجمة والنشر،ص،226.)

[2]–**المئذنة** :كلمة مشتقة من الفعل أذن ،وأذن بالصلاة أي أعلم ودعا إليها ،وهي تعني موضع الآذان أو المنارة وجمعها مآذن،وآذن إليه تعني استمع إليه،إذنا به أباحه وأجازه،وآذان بالشيء ،علم به ،أذن إيذانا بالأمر،أي أعلمه به،وآذن تأذينا بالصلاة أعلم بها ودعا إليها. (انظر صالح بن قربة المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ،دراسة فنية وأثرية ص6)

[3] –**محمد حسين جودي**، المرجع السابق، ص72.

[4] –**ابن هشام** "السيرة النبوية "منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان 2000، ص93.

المئذنة تمثل الملمح البارز في عمارة المساجد ،فقد مرّت بمراحل مختلفة من التطور ،واتخذت أشكالا متعددة ، فمن المئذنة البسيطة في عصر الإسلام المبكر إلى المئذنة التي تتمازج فيها عناصر العمارة العربية والإسلامية مع فنون العمارة البيزنطية والهندية والمغولية والإفريقية والقوطية وتصبح تعبيرا صريحا عن انصهار الفنون ،وتداخل الثقافات والبيئات المختلفة تحت راية الإسلام حيث توجد ثلاث طرز من المآذن ،طراز الملوية في العراق،وطرازا لأسطواني الذي تعلوه قمة مدببة وطراز الصومعة في المغرب [1]. يوجد في الجزائر مساجد بدون مآذن ويعود هذا إلى فترة المرابطين الذين ساهموا في عمارة المساجد وأولوها عناية فائقة ولكنهم بنو مساجد مدينة تلمسان و لم يشفعوها بالمآذن وإلى الآن كما يرى محمد الطيب عقاب لم يتوصل أحد إلى كنه ذلك ،مع العلم أن دور المئذنة هو إيصال صوت المؤذن إلى أقصى مدى ليسمعه الناس[2].فعلى الرغم من الدور الذي تؤديه المئذنة إلا أن المرابطين لم يهتموا بهذا العنصر المعماري. يجيب عبد اللطيف بن اشنهوا "ليس في نظرنا إلا احتمال واحد يفسر انعدام المآذن في العهد المرابطي ،وأنّهم ربّما لم يهتموا بالمظهر الخارجي لمبانيهم "[3] أو ربّما لبساطة المرابطين "الذين تركوا بناء مئذنة للمسجد الكبير لأنّهم كانوا قريبي العهد بالبداوة، وهؤلاء لم يحصل

---

[1]– **كريزول**،الآثار الإسلامية الأولى،تعريب عبد الهادي عبل ،دار قتيبة دمشق،1984م،ص-ص367-369.

[2] – **محمد الطيب عقاب**، المرجع السابق، ص90.

[3]- **A.BENACHENHOU**,la dynastie almoravide et son art,SNED,Alger,1974,p59.

لهم أن اتصلوا بالأندلس بعد فكانت عمارتهم في هذه المرحلة أقرب إلى البساطة والابتعاد عن الترف"[1] ولكن لماذا نرى المرابطين اهتموا بالزخرفة إذا كانوا قريبي العهد بالبداوة ؟ربّما يعود عدم الاهتمام لعامل عقائدي أو لأن المئذنة لم تكن في عهد الرسول (ص) أو لأنّه ليس لها من دور تلعبه سوى الآذان ،فهي عنّصر معماري خارج عن المسجد لذا نرى الاهتمام بما هو داخلي فقط. ولهذا في السابق لما فتح المسلمون الأمصار اتخذوا أبراج المعابد كمآذن كما هو الحال بالنسبة للمسجد الأموي الذي قام على أنقاض المعبد الوثني القديم.

لقد عرف العرب المكان الذي يلقى منه الآذان باسم (المئذنة، الصومعة والمنارة).يستعمل سكان المغرب العربي لفظ الصومعة بدل المئذنة، "وكلمة الصومعة تطلق على المآذن في المغرب والأندلس بدل من كلمة مئذنة ،ولذلك شاع استعمالها في الجناح الغربي للدولة الإسلامية ،وسمّيت الصومعة لمشابهتها في بعض طرزها لأبراج الزهاد،وهذه التسمية معروفة الآن في المغرب العربي"[2]،كما أنّ بعض أهل المغرب يسمّون المئذنة (العساس)،بمعنى مكان المراقبة،مما يشهد أن المآذن لم تكن تستعمل للآذان فقط بل كانت تستعمل للكشف والمراقبة أمّا المنارة كانت تطلق في البداية على المكان الذي ينبعث منه النور.لكن هناك من يرجع هذه التسمية إلى أنّ المآذن كانت تضاء

---

[1] – **طرشاوي بلحاج**،المآذن ن الزيانية والمرينية في تلمسان ،دراسة تاريخية وفنية،مخطوط رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية جامعة تلمسان،2003،ص59.

[2] –**صالح بن قربة**،المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى (دراسة معمارية وفنية)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986،ص09.

بالأنوار عند الغروب في رمضان ،وتظل مضاءة حتى طلوع الفجر ،و تطفأ إيذانا ببدء يوم جديد."استعملت هذه الكلمة للدلالة على المكان الذي فيه نار ويعطي ضوءا للسفن،وكانت في نفس الوقت تعطي إشارة عن تحركات الأعداء ،وقد أشار العالم البحاثة(MAX.V.BERCHEM) عند تفسير كلمة منارة إلى وجود ثلاثة مظاهر لاستعمالها هي :1-في المهرجانات الدينية2-في العمارة3-اللغة"[1].وباعتبار أن المئذنة عنصر معماري جمالي في عمارة المساجد والجوامع فقد تفنّن المعماريون المسلمون في شكل بنائها فاختلفت" المساجد في أشكالها ،فمنها ما بني على شكل أسطوانة تقع على قاعدة مرتفعة كما في مساجد العراق ،ومنها ما بني على شكل مربّع كما في مساجد الشام حتى القرن الثالث عشر الميلادي ،ومنها ما بني على شكل حلزوني مثل مئذنة الجامع الكبير في سامراء"[2] .لكن ماهو شكل مئذنة مسجد الشلالة الظهرانية ؟وماهو الاسم الذي يطلق على المئذنة؟هل هو المئذنة، المنارة،أم الصومعة؟.

الوصف المعماري لمئذنة الشلالة:

إنّ الملاحظة الميدانية لمئذنة مسجد قصر الشلالة الظهرانية تبيّن أنّها من طراز المآذن المربّعة الشكل مثل مئذنة أغادير بتلمسان أو مئذنة القيروان لكنها تتكون من طابقين بهما فتحات من أجل الإضاءة والتهوية طول

---

[1] -المرجع نفسه،ص09.

[2] -محمد حسين جودي،المرجع السابق،ص73.

المئذنة12.30م و عرضها 3.15سم بنيت من الحجارة والطّين والكلس توجد على يمين المدخل الرئيسي للمسجد. تعرضت للقصف من طرف الاستعمار كما تأثرت بالزلزال الذي ضرب القصر في سنة 1967 فكانت على وشـــك السقوط لذا اتخذت السلطات المحلية تدابير إذ خضعت للترميم في إطار ترميم القصر انظر الصورة

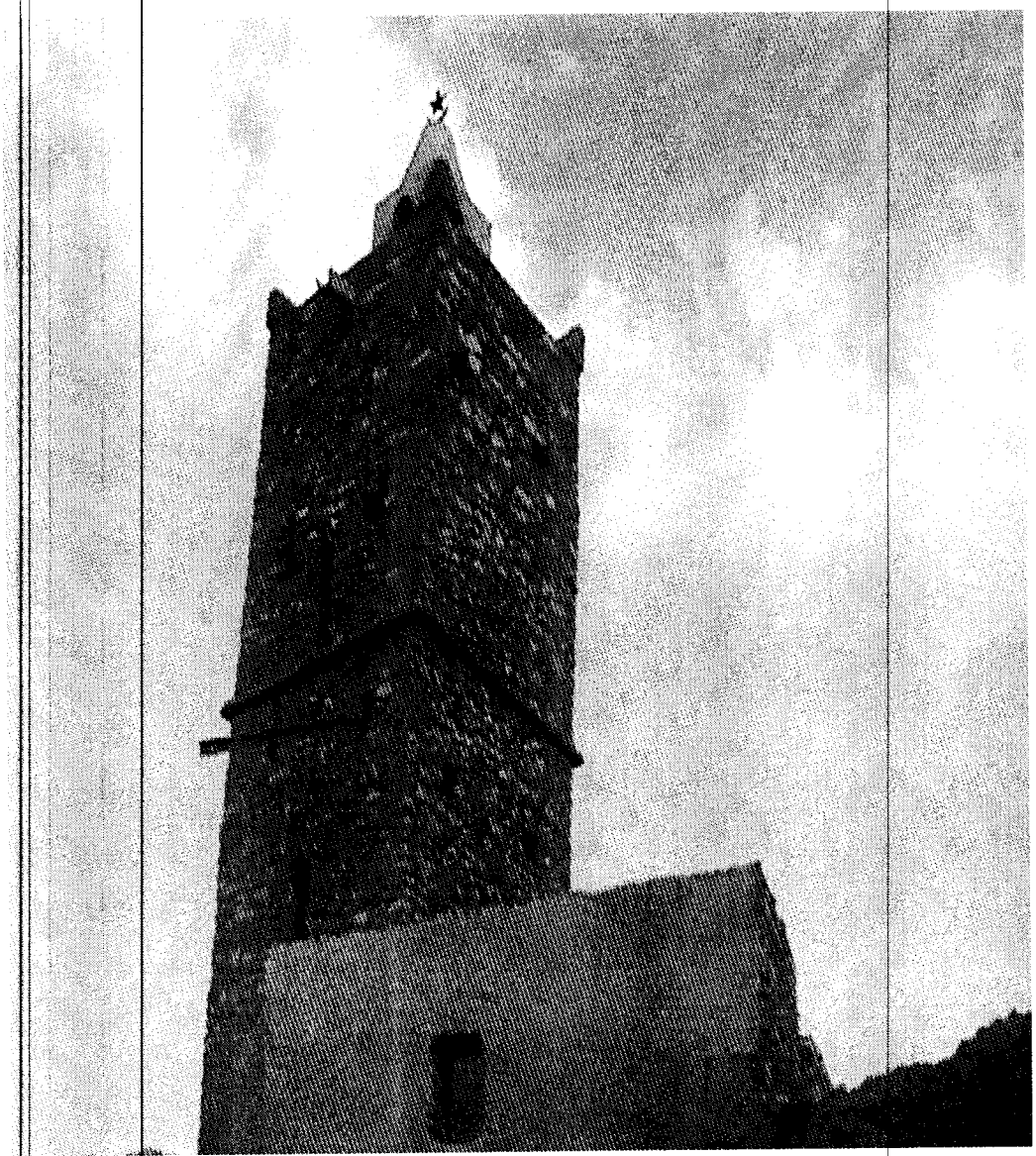

مئذنة المسجد

يصعد إليها من باب صغير طوله 1.50م يجعلك تنحني من أجل الدخول وبالتالي الصعود يوجد بجوار المنبر أي في جدار القبلة بها نواة مركزية محاطة بسلم لولبي به أدراج مختلفة الأشكال وهي غير متناسقة تؤدي إلى سطح المسجد عددها 53 درجة طول الدرجة الواحدة 78سم وعرضها 20سم كلما صعدنا إلى الأعلى يبدأ هذا السلم في الضيق . حرص المعماري في قصر الشلالة على بناء المئذنة نظرا للدور الذي تلعبه والطابع القدسي الذي تتميز به وحتى يتمكن الناس البعيدون عن المسجد من رؤيته لعلامة على وقت الصلاة [1].هذا وأن هناك مَنْ كان يسكن من البدو خارج القصر فساعدته المئذنة على معرفة وقت الصلاة.

الملاحظ أنّ مئذنة قصر الشلالة جاءت خالية من أي زخرفة" عكس المآذن الزيانية التي تزخر بالزخارف المتنوعة التي غطّت أوجهها الأربعة ...فالعقد ذي خمسة فصوص لعب دورا هاما في زخرفة مئذنة ندرومة في الواجهتين الشمالي والجنوبي والعقد ذي الإحدى عشر فصاً زينت به مئذنة أغادير في الوجهين الشرقي والغربي ،خصوصا العقد ذي الشرفة من رأس واحد،بينما نجد قوام زخارف مئذنة المسجد الكبير بتلمسان وسيدي إبراهيم وأبي الحسن عبارة عن عقد ذي شرفة من رأسين" [2] يوجد في أعلى المئذنة ما يسمى بالجوسق(غرفة المؤذن)تحميه من البرد والحرّ يقول الخزنائي :"

---

[1] – **عبد المنعم أرسلان** ،نشأة المئذنة ،مقالة بمجلة دار الملك عبد العزيز العدد الأول 1980م،ص65.

[2] –**صالح بن قربة**،المرجع السابق،ص88.

وفي أعلى هذه الصومعة قبة جلوس المؤذنين لتداول الآذان[1]. إنّ التأثير المغربي كان واضحا في العمارة بالشلالة خاصة أنّها كانت معبرا للحجاج الوافدين من المغرب إلى مكة المكرمة يرى المقريزي"ولقد شيدت معظم مآذن المغرب العربي وفقا للتخطيط المربع ،وربّما كان اقتداءا كما يرى البعض من أهل الاختصاص بتربيع الكعبة التي كان لها شأن كبير عند المسلمين ،وهو شكل عمل به المسلمون حتى في الأمصار الإسلامية سوءا في البصرة أو جامع عمر بن العاص في الفسطاط"[2] .

إنّ الصّحن في المسجد هو المساحة المكشوفة منه والتي تتصل بحرم المسجد وأروقته وجدرانه لخارجية وهو في أساسه إقتداء بعمارة المسجد الذي أمر الرسول (ص) ببنائه حيث نجد أن هناك مساحة غير مغطاة محصورة بين مظلتين مغطّتان إحداهما في الجهة الجنوبية والأخرى في الجهة الشمالية إنّ الصّحن كما يشير إليه محمد حسين جودي "هو الفراغ المكشوف المحدد بواسطة حوائط ومباني ،وقد ظهرت مثل هذه الفراغات منذ القدم في عمارة بلاد واد الرافدين في العصر السومري (حكم الأسرة الثالثة) ،والأشوري، و في عمارة مصر القديمة..."[3] يضم الصّحن قاعة للوضوء ،أو مكانا في الوسط تتواجد به المياه على شكل أحواض مائية كما هو في المسجد

---

[1] –علي الجزنائي ،جني زهر الآس في بناء مدينة فاس،تحقيق عبد الوهاب منصور ،المطبعة الملكية الرباط،1976،ص42.

[2] –المقريزي تقي الدين،المرجع السابق،ص246

[3] –محمد حسين جودي،المرجع السابق،ص61.

الكبير بتلمسان .إذا كان هناك اكتظاظ في المسجد خاصة في صلاة الجمعة أو العيدين ،فإنه يستفاد من الصّحن في استيعاب ما تبقى من المصلين ،لأنّ الصّحن يعتبر امتداد لبيت الصلاة ،كما قد يستفاد من الصّحن خاصة في المناطق الصحراوية في اللّيل نتيجة ارتفاع درجة الحرارة لأداء صلاة المغرب والعشاء ، وفي رمضان صلاة التراويح حيث يكثر المصلّين ولا تستطيع بيت الصلاة استيعاب كل المصلّين،خاصة ونحن نرى أنّ الكثير من صحون المساجد تغرس بالأشجار ليستظل الناس بها،وفي الصحراء تسمى بالمصلى الصيفي.

لكن ما لاحظناه في مسجد الشلالة الظهرانية انعدام الصّحن وهذا يعود ربّما لضيق المساحة التي يشغلها المسجد فهو كما رأينا ذو شكل شبه مثلث ولهذا يلجأ المصلّون لاستغلال سطح المسجد في الصلاة خاصة في اللّيل أثناء فصل الصيف.

العمارة الدينية

المبحث الثاني :الأضّرحة :

المطلب الأول :

الأضّرحة جمع ضريح ويسمى في بعض المناطق بالقبّة كما هو في الشلالة الظهرانية . ويقصد بالضريح مدفن سلطان أو أمير أو رجل صالح أو إنسان آخر له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه [1].تعتبر الأضّرحة من بين العمائر التي اعتنى بتشّييدها المسلمون حيث كان يدفن فيها أهل الفضل من المسلمين أو أصحاب الجاه من السلاطين والأمراء.

وقد ظهرت الأضّرحة في المناطق التي عرفت الطرق الصوفية "فسكان الشلالة كانوا تابعين لثلاث طرق صوفية ،طرقة سيدي عبد القادر الجيلالي ، ومولاي الطيب وسيدي أحمد التيجاني "[2]. لكن المتتبع لتاريخ الشلالة الظهرانية يدرك أنّها عرفت طرقا أخرى كالشاذلية، والشيخية، والتي مازلت آثارها ليومنا هذا من خلال تابعيها ومريديها .إن سيدي أحمد بن يوسف الملياني قد استقرّ لسنوات في الشلالة واستطاع أن يغرس الطريقة الشاذلية في نفوس السكان وقد جلب إليه تابعين وأنصار وما زال ضريح ابنته

---

[1] –**محمود وصفي محمد** ، دراسات في الفنون والعمارة العربية والإسلامية ،دار الطباعة والنشر ،القاهرة 1980،ص39.

[2] -**Cauvet**, Revue Africaine,N̊33,1889 opu,p51.

عائشة في الشلالة شاهدا على تواجد المليانى بهذا القصر وانتشار طريقته بها وبالجنوب الغربي [1].

لقد عرفت الشلالة عددا من الأضرحة تتمثل في ضريح سيدي محمد بن سليمان بن أبي سماحة وضريح لالّة عائشة. والمختلف فيه هو ضريح سيدي أحمد المجذوب ،فالرواية الشفوية تقول بأنّه دفين الشلالة أمّا المتعارف عليه أنّ ضريحه موجود بعسلة وتقام له كل سنة وَعْدَة مشهورة معروفة بِوَعْدَة المجاذبة نسبة إلى الوليّ سيدي أحمد المجذوب الذي ولد بالشلالة الظهرانية وواصل فيها دراسته، وفي فجيج حيث درس النحو والفقه والحديث و حفظ القرآن[2].يذكر الرحّالة العياشي في أحد رحلاته إلى الحجّ والذي كان يمرّ بالمنطقة "لقد ازدهرت بالصحراء سلسلة من الزّوايا وعظم شأنها وزاد نفوذها حتى تحول بعضها إلى مدن مثل عين ماضي وتماسن وطلقة ...ويضاف إلى الزّوايا أضرحة العلماء والصلحاء ."[3]

ولكن لماذا بني ضريح سيدي محمد بن سليمان بن أبي سماحة بشكل مختلف إذ تعلوه قباب مقارنة مع ضريح لالّة عائشة الخالي من القبّة والذي بني بشكل بسيط ؟

لا تأخذ الأضّرحة بطبيعة الحال شكلا واحدا وإن كان دورها الوظيفي واحد بل تختلف باختلاف الزمان والمكان إضافة إلى اختلاف صاحب الضّريح الذي

---

[1]–**انظر الفصل الأول (الدراسة التاريخية)ص36.**

[2]–**انظر خليفة بن عمارة** ، سيرة البوبكرية ،المرجع السابق ،ص99.

[3] –**مولاي بلحميسي** ،المرجع السابق، ص30.

أدّى دورا أساسيا في التوعية والإرشاد الديني وله شخصية مؤثرة "ولأضرحة المرابطين ثلاثة أشكال ،فعندما يموت المرابط العادي يكتفي العرب بإقامة سور منخفض حول قبره وإن كان المرابط المتوفي ولياً كبيراً ، وكان له تأثيره على عدد من القبائل فإنّهم يقيمون له ضريحا فوق قبره أمّا إذا كان مشهورا من خلال الدّور الذي لعبه سواء في مجال التعليم أو كان يجوب الجزائر لنشر طريقته الصوفية ،أو عالما فإنّ الجزائريين يبنون له زاوية بها مسجدا ...ويقيمون له سنويا ما يعرف بالوعدة [1]. إنّ بناء الأضّرحة كان لوظيفة روحية من جهة وذلك لنيل البركة والنّفع ، ومن جهة أخرى لدفع الضرر "وكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء ،فهو الذي يحميها من العين والغارات ، ومن نكبات الطبيعة، ومن طمع الطامعين"[2].

لقد عرفت الزوايا والأضرحة كملجأ للجناة الذين يرتكبون معاصي تحميهم من العقاب جزاء ما ارتكبوه من جرائم "فقد كان الولاة والعامة يعتقدون في حصانة حمى الزّاوية والضّريح ،ويكفي أن يهرب الجاني إلى هذا الحمى فلا يلحق به أحد ،ولا يمسه سلطان " [3] .

---

[1] -**أبو العيد دودو** ، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830-1855) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989، ص136.

[2] -**أبو القاسم سعد الله** ،المرجع السابق ،ص267.

[3] -المرجع نفسه ،ص 270.

المطلب الثاني :الوصف المعماري للأضرحة :

1-ضريح سيدي محمد بن سليمان بن أبي سماحة :يقع ضريح سيدي محمد جنوب قصر الشلالة تخطيطه مربع حيث يبلغ طول جدرانه ستة أمتار وسبعين سنتيمتراً (6.70م) وارتفاعه سبع أمتار وستة عشر سنتيمتراً(7.16م) دون حساب قياس القبة المركزية أو ارتفاع القباب الصغيرة الموجودة بالزّوايا الأربع .

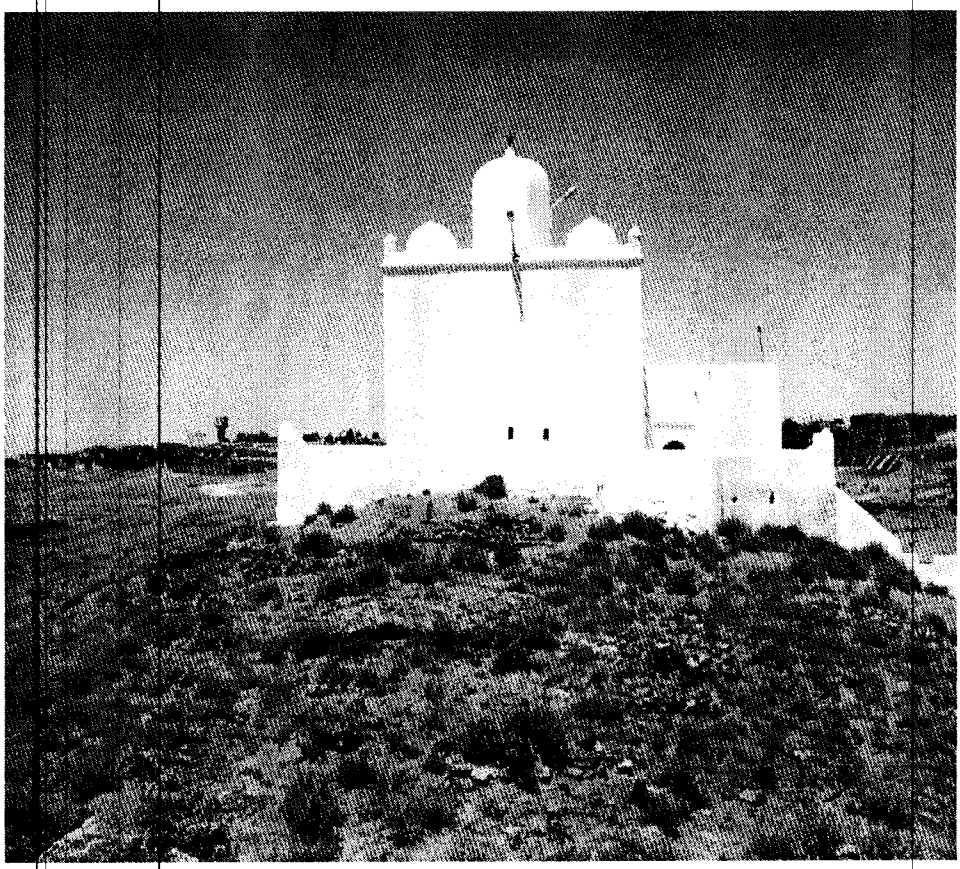

ضريح سيدي محمد بن سليمان بن بوسماحة

بابه الخارجي مفتوح في اتجاه القبلة بطول متر واثني وأربعين سنتيمتر (1.42سم) وبعرض أربعة وستين سنتيمتراً(64سم) به عقد مفصص. ونظرا لعدم ارتفاع الباب بصورة كافية يجعلنا ننحني حتى نتمكن من الدخول وهذا ربّما يدلّ على التواضع.

بعدها، يتم الدخول إلى قاعة صغيرة، وعلى اليسار نجد باب أكبر من الباب الخارجي يؤدّي مباشرة إلى غرفة الضّريح بطول متر وثلاثة وثمانين سنتيمتراً (1.83م) وبعرض متر واحد (1م) .مباشرة عند الدخول، يقابلنا التابوت مصنوع من الخشب ،ارتفاع مدخله متر وتسعون سنتيمتراً(1.90م) وعرضه خمسون سنتيمتراً(50سم) مزخرف وقد كتب في الأعلى (قد كمل هذا التابوت على يد العبد الفقير أحمد ابن أحساين التلمساني أصلا ومسكنا للولي الصالح سيدي محمد بن سليمان الصديقي تغمده الله برحمته ،آمين وذلك في عام 1359هجرية وأجرته على أولادِ غانم الله يجازيهم خيراً بمنه وكرمه آمين)

قد وضع على الضّريح قطع من القماش الأخضر مكتوب عليه اسم الولي سيدي محمد ابن سليمان ابن بوسماحة "وكان صاحب الضّريح يوضع فوق قبره تركيبة من الحجر أو من الأجر أو أحيانا تابوتا من الخشب"[1] (انظر الصورة في الصفحة الموالية).

---

[1] –محمد وصفي محمد، المرجع السابق، ص40.

تابوت الضريح

وتحتوي غرفة الضريح على أربعة أعمدة مثمنة الشكل ومتناظرة بين كل عمود وآخر ثلاثة أمتار وخمسين سنتيمتراً(3.50سم) ،تؤلف مربّعا يحوي القبر ،تحمل هذه العقود في نهايتها عقودا نصف دائرية .

(انظر الصفحة الموالية)

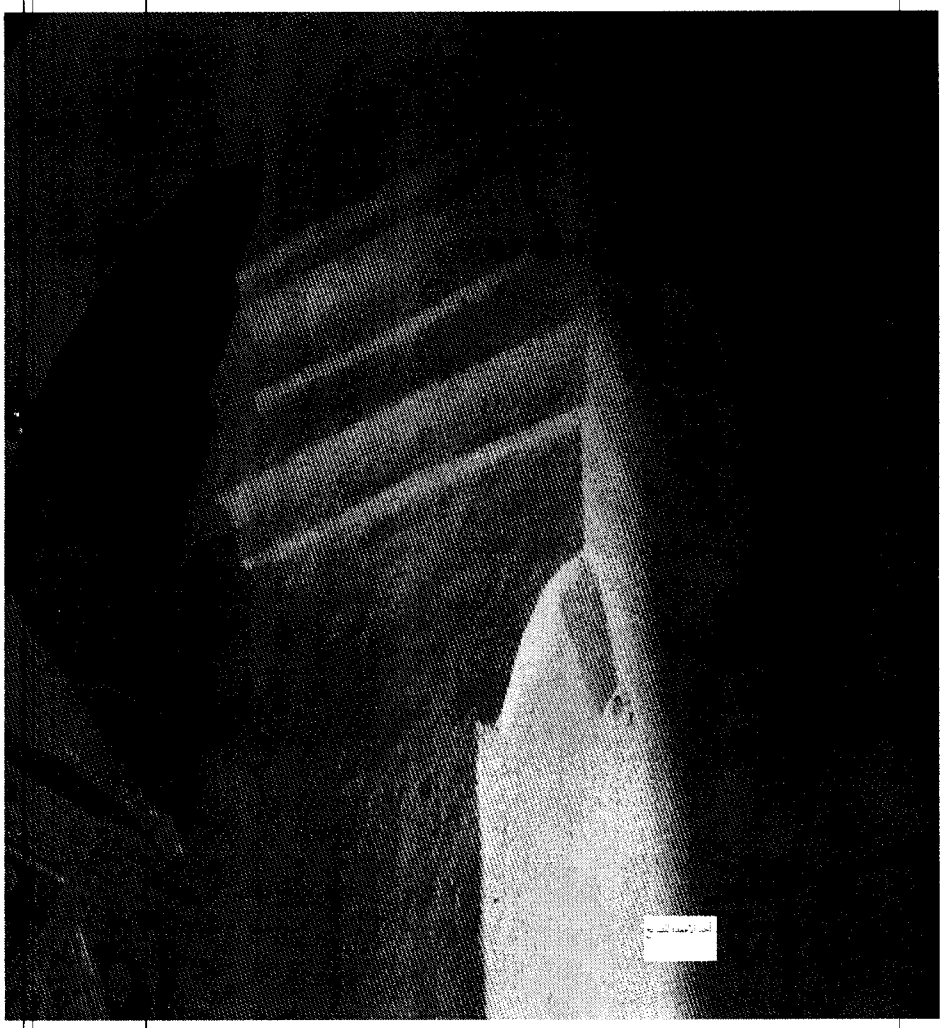

أحد الأعمدة الضريح

ويتوسط السقف قبة كروية الشكل مثمنة من الأسفل وتحيط بها قباب صغيرة على الزوايا الأربع"هذا النوع من القباب موجود غالبا بالمغرب حيث تكون القبّة مثمنة الزّوايا،المحمولة على قسم اسطواني هو الآخر مثمن الزوايا "[1].

---

[1] -**Cauvet**, les marabouts petits monument et votifs du nord de l'Afrique une revue africaines n° 64,1923,opu Alger,1986,p291.

إنّ للقبّة دلالة ففي" الديانة المسيحية تمثل السماء بحيث يتوسط المسيح قبّة تلك السماء كمنظّم للكون"[1] .

وتوجد بغرفة الضّريح أربع فتحات وظيفتها الإضاءة والتهوية بطول ستين سنتيمتراً (60سم)وبعرض عشرين سنتيمتراً (20سم)، كما توجد كوتين بطول ثمانين سنتيمتراً (80سم) وبعض أربعة وستين سنتيمتراً(64سم) كانت توضع بها الشموع للإضاءة .ما لاحظناه أثناء زيارتنا لضريح سيدي محمد تبيّن أنّه كان وليا له قيمة عظيمة عند سكان الشلالة وهذا واضح من خلال عظمة المبنى من الداخل والخارج والتصميم الهندسي فمن الداخل نشعر بأنّنا في بيت للصلاة ومن الخارج يظهر بأنه مسجد .حيث يتم الصعود إلى باب الضّريح بسلم به عشر درجات .

ضريح لالّة عائشة :

مقارنةً بضريح سيدي محمد فإنّ ضريح لالّة عائشة يعدّ من الناحية المعمارية بسيطاً حيث جاء خاليا من أي زخرفة هندسية فهو يقع في المقبرة طول بابه متر وخمسة وستون سنتيمتراً (1.65م) وعرضه خمسة وستون سنتيمتراً(65سم) لا يحتوي إلا على القبر من الداخل من الحجر والتراب ليس به تابوتاً ،كما تنعدم الأعمدة و فتحات الإضاءة والتهوية .و جدران الضّريح من الخارج يبلغ طولها أربعة أمتار وخمسين سنتيمتراً (4.50م) وعرضها أربعة أمتار وستين سنتيمتراً (4.60م) .

---

[1] –ألفت يحي حمودة ، المرجع السابق،ص72.

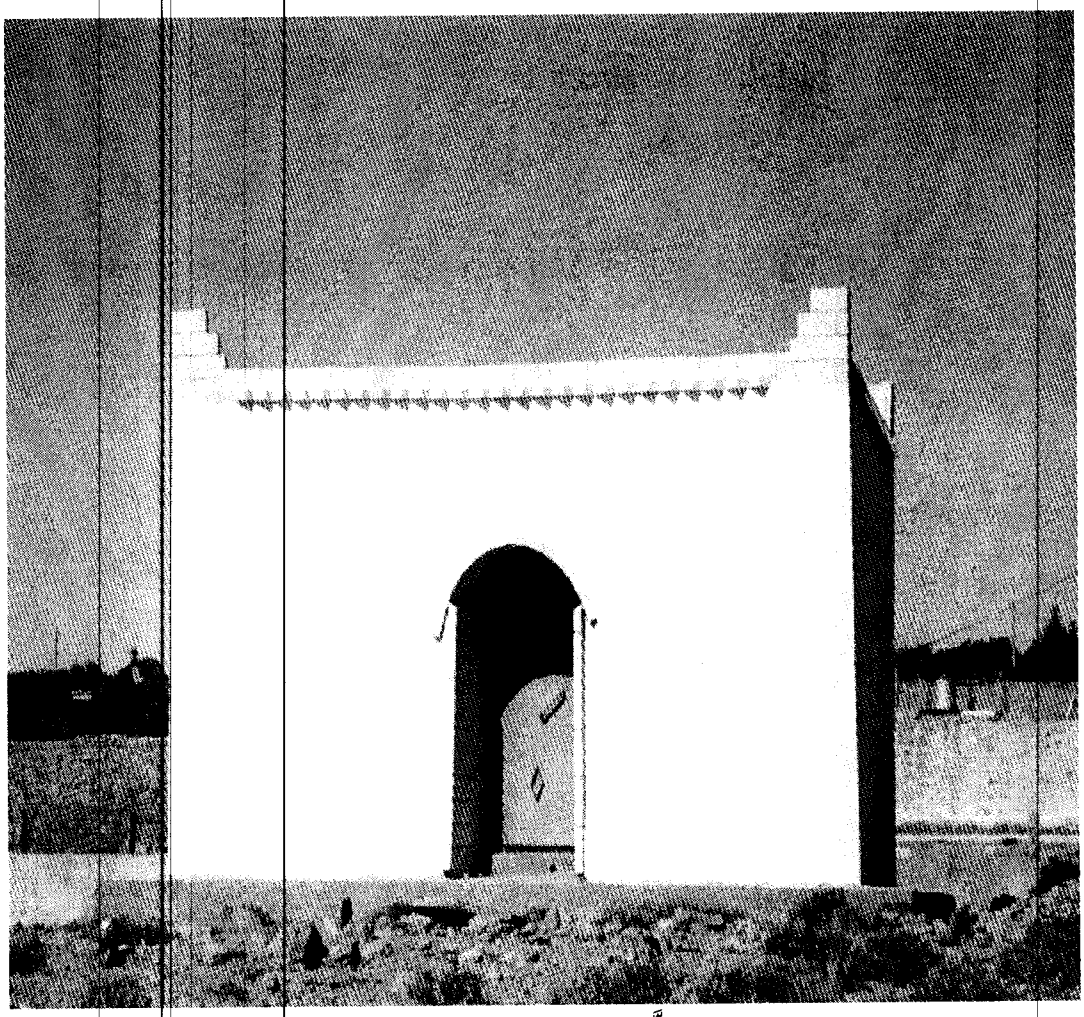

ضريح لالّة عائشة بوسط المقبرة

هذه الأضّرحة ،وإن كانت بسيطة في بنائها فإنّها تنطوي على تمثّلات المعماري الذي بناها ،فلم يكن المعماري عند بنائه للضّريح يقصد من وراء ذلك إضفاء الجانب الجمالي أو الإبداعي، وإنّما كان يقصد تخليد ذكرى وليه الصّالح ليتمايز عن بقية القبور العادية .

الفصل الثالث:

العمارة المدنية

المبحث الأول: المساكن

المبحث الثاني : الشوارع و الرحبات

المبحث الثالث :السوق

العمارة المدنية

المبحث الأول:المساكن.

المطلب الأول:مفهوم السكن

إنّ السكن يضم جملة من الاعتبارات المعقدة تجمع بين المسكن والممارسات الاجتماعية في الحياة اليومية العملية، وهو يحمل معنى واسعا في إطار كل العناصر المادية، و الإنسانية التي تساهم في أطر العيش. ومن الناحية الجغرافية ،إنه نظام التوزيع المجالي للمقرات السكنية ،و يشكل جزءاً هاما في ترتيب أشكال التوزيع السكني ،من قرى ،و سكنات فردية ، وتجمعات سكنية "[1].والسكن أيضا هو "البناء الذي يأوي إليه الفرد ويشمل على الضروريات و التسهيلات و التجهيزات ،و الأدوات ، و الوسائل التي يحتاج ويرغب فيها الفرد"[2].

المطلب الثاني:مفهوم المسكن:

المسكن أكثر دقة من السكن ،وهو يرمز إلى الفر دانية ، ويضم البيت و العائلة التي تشغله إلى جانب السكنات المجاورة .من الناحية الفيزيائية يُفَسَرُ على كونه "وحدة سكنية مكونة من شقق تضم أفراد تجمعهم علاقات أسرية يشتركون في استعمالها ،والتعايش فيها ،وهو جزء من الممتلكات المادية

---

[1]Segaud Bonvalet.C,Brun,J,Logement et habitat l'etat des savoirs,Paris,ed la decouverte, 1998 P.50

[2]– القصير عبد القادر:أحياء الصفيح،دار النهضة العربية،بيروت.1993.ص.21

ويتميز بالخصائص التالية : الموقع،و الشكل المعماري ،و الأفراد المقيمون فيه".[1]

إنّ لفظ سكن يلبي حاجة بيولوجية تتمثل في الحماية من البرد و الحرّ، من الحروب والغزو، كما هو مصدر للراحة و الطمأنينة .يقول ابن خلدون "إنّ صنائع العمران ،و اتخاذ البيوت ، والمنازل للسكن ، والمأوى للأبدان والبيوت تكون مكتنفة بالسقف و الحيطان من سائر جهاتها اتقاءً من الحرّ والبرد.أمّا الباحة تشتمل على عدة دورات وبيوت، والغرف الكبيرة تخصّص للعائلة الكثيرة النسل وتكون مبنية من الحجارة يلحم بينها بالكلس و الجس ويهيئ فيها السراب و المطامير لخزن القوت ،وتبنى الإسطبلات للمواشي والدواب ،و البعض الدويرة لنفسه ولعائلته".[2]

لقد أمر الإسلام بتعمير الأرض بالبناء عليها،وحث عليه لحماية الإنسان من حر الشمس وبرد الشتاء وأمطاره ،وجعل اتخاذ المساكن نعمة من الله لمخلوقاته ،قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾[3]

---

[1]- SEGAUD.BONVALET.c brun,j,opcit, p 07

[2]-:عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق ص322 .

[3]-من سورة النحل الآية 80.

جعل الإسلام لبناء المساكن آدابا منها:

أ-اختيار المكان الجيد، فيبني المسلم البيوت وغيرها من القصور والقرى في السهول أو الجبال حسبما تقتضيه حاجته، ومكان تواجده وراحته، وهذا ما تحدث به القرآن كثيرا، قال تعالى:﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [1]

ب-أن تتوفر في الدور و البيوت وسائل السكن، و الراحة و الطمأنينة، من تهوية جيدة، وسعة في المكان، ووجود الخضرة، والزروع حول البيت، ووجود أماكن خاصة في البيوت.

ج-أن لا يرفع المسلم بناءه عن أخيه إلا بإذنه ، وعن حق الجار، قال الرسول (ص) :"ولا تَسْتَطِيْلَ عَلَيْهِ بِالبُنْيَانِ،فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ والهَوَاءَ،إلاَّ أَنْ يَأْذَنَ". [2]

لكن يا ترى ما هو الشكل المعماري الذي تم محاكاته لبناء قصر الشلالة الظهرانية؟ وهل جاء بناء القصر مشابها لما عُرفت به قصور المنطقة من حيث استعمال مواد البناء وشكله؟ و ما وجه الاختلاف بينه وبين المدن القديمة بالشمال؟ ترى هل سكان الشلالة الظهرانية التزموا بالمقاييس الجغرافية و الفنية التي حددها الإسلام في اختار مواقع المدن و طريقة البناء ؟ وما الدوافع التي كانت من وراء البناء ؟ هل هي دوافع الاستقرار أم دوافع تجارية؟ أم عسكرية؟

---

[1]-سورة الحجر الآية82.

[2] -الطبراني

إنّ الزيارة الميدانية التي قادتنا إلى قصر الشلالة الظهرانية جعلتنا نكتشف الصعوبات في وصف القصر نظرا للحالة التي آل إليها نتيجة هجرانه من قبل الأهالي مند الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة سبعة وستين وتسعمائة وألف 1967 ونتيجة التخريب و السرقة والإهمال الذي تعرض له ، عكس ما نجده في بعض القصور الصحراوية التي مازال السكان يقيمون فيها.

إنّ سكان الشلالة اختاروا مكاناً ملائماً للسكن وحصنوه من جميع الجهات ، و أحاطوه بالخضرة والزروع المتمثلة في البساتين،و اهتموا بالعمارة إذ شيدوا مساكن تستجيب لما تأمر به الشريعة الإسلامية ،كما شيّدو منازل بطابق و طابقين ، وهذه سمة قصور الجنوب الوهراني[1]* التي قمنا بزيارتها .إن مساكن القصر نجدها متراصة متلاحمة .فكل بيت يؤدي إلى بيت آخر ،فهذا التصميم العمراني المتراص يترجم تضامن أفراد القصر ،وهذا ما ورد في الحديث الشريف "المُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ كَالبُنْيَانِ المَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضاً".إن مراعاة الوازع الديني الذي يَدْعُو إلى المحافظة والتزام حدود اللياقة الأدبية والأخلاقية هو الذي ساهم في البناء والتخطيط للقصر والمساكن لهذا بنيت مساكن الشلالة الظهرانية على شكل مجمع سكني بشكل التضام والتراص بالإضافة إلى بناء كل ماكان مطلوبا لتيسير الحاجات وما يحتاج إليه القصر من مقر للمحكمة إذ عرف القصر مرور أكثر من سبعة وعشرين (27)قاضيا وما زالت الوثائق موجودة بحوزة بعض المهتمين بتاريخ الشلالة أمثال جبري الحبيب وأخيه جبري الطاهر تشمل عقود الزواج والطلاق والبيع والشراء (انظر الوثيقة في الصفحة الموالية)

---

*الجنوب الوهراني المقصود بها جبال القصور حسب فليكس جاكو **felix jaquot**

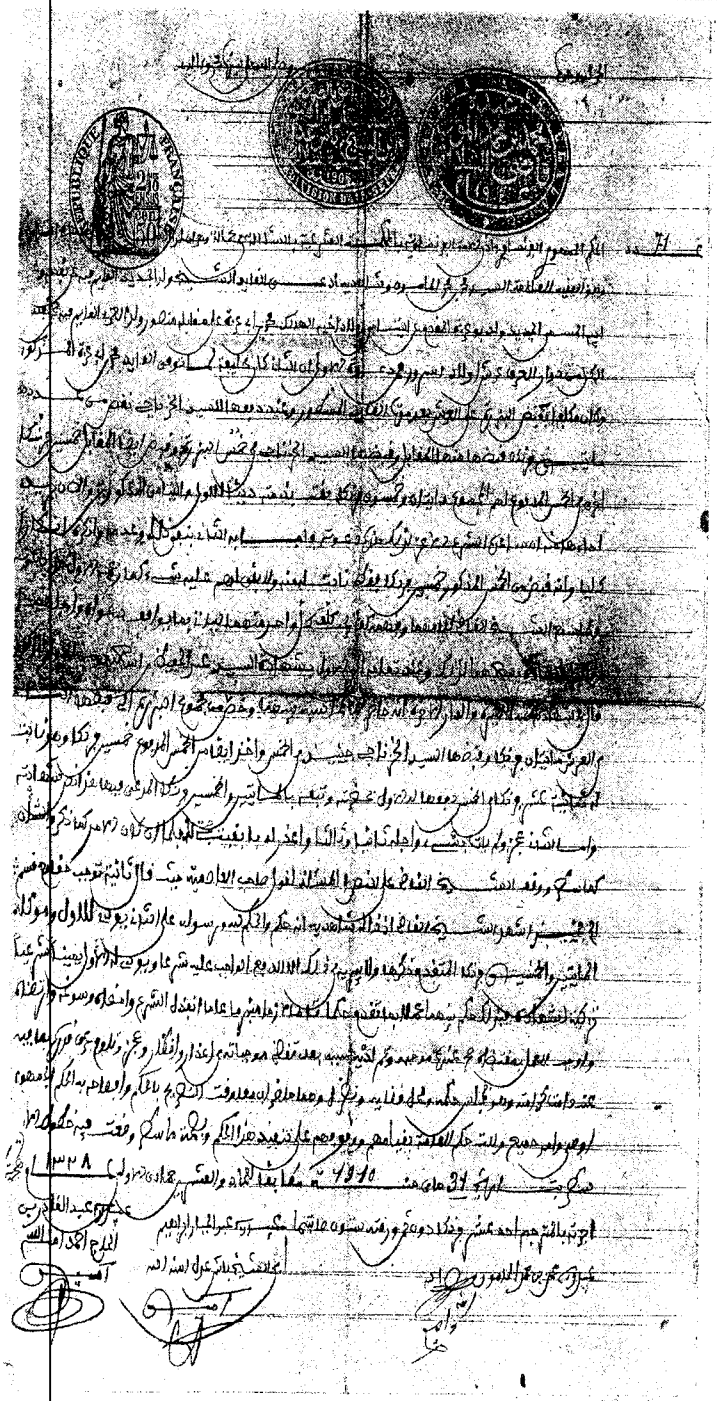

وثيقة خاصة بعقود محكمة الشلالة

وكذا بناء المسجد والسوق والطرق والشوارع لتسهيل عملية مرور الراجلين والحيوانات .

إنّ تصميم البيت القصوري مثله مثل البيت العربي الدائر نحو الداخل يأخذ في الحسبان العنصر النسوي .إنّ كلمة سكن التي تدلّ على المسكن، و كلمة سكينة من أصل واحد، وكلمة حريم التي تدل على المرأة وكلمة حرم التي تدل على القسم المخصص للعائلة في البيت الإسلامي، من أصل واحد كذلك إنّ هذه السكينة وهذه القداسة و هذا الجوهر و هذا الجو البيتي الذي تليق به كلمة دوميستيك"[1] إن هذه الميزات نجدها في القصر ذلك لأن النساء يتنقلن من بيت لآخر عن طريق السطوح (السدوح) بلهجة الشلالة.أما الجدران الخارجية للمساكن تظهر كلها تقريبا متساوية في الارتفاع و "تعطي الصورة العمرانية للمدينة الإسلامية مؤشرا هاما في تجانس الكثافات البنائية ..فلا يتميز حي عن حي في الارتفاع "[2] .وهذا جاء منسجما مع أوامر الشريعة الإسلامية التي راعت حقوق الجار حيث لا يستطيل على جاره في البناء حتى لا يسدّ عليه الهواء أو الضوء ولا يفتح عليه أبواباً أو نوافذَ. وكما أشرنا سابقا فإنّ المساكن في القصر متلاحمة مع بعضها البعض ، وهذا ما نجده في جلّ القصور الواقعة بالجنوب الوهراني ويشبه نموذج المدينة الإسلامية على حسب ما أورده Denis grandet"إنّ مساكن المدينة الإسلامية محصورة في مجموعات واسعة ،تمثل على العموم محيطاً به ثقب وهو

---

[1] –**حسن فتحي** ، البناء مع الشعب ،مجلة معالم ،مرجع سبق ذكره،ص214.

[2] –**خالد عزب**، الأحياء السكنية بالمدينة الإسلامية ، المنهل ، نفس المرجع السابق ص91.

باب على الأزقة والشوارع الثانوية ماعدا المسجد ...وما يميز المسكن العربي الإسلامي العتيق أنّ المساكن تشترك في الجدار من اثنين إلى ثلاث جهـــات محصورة في مجموعات واحدة"[1].

المطلب الثالث :تخطيط القصر

قصر الشلالة الظهرانية في 1846 كان يحوي العناصر التالية:

1-عين شديري.

2-باب تافرنت .

3-عين فريش.

4-المحكمة: لم يبقى منها إلا الآثار.

5-طريق المسجد .

6-ضريح سيدي سليمان بوسماحة.

7-فريش.

8-حوش نخدة.

9-سقيفة مغسل.

10-باب تيشرافين.

11-الحمام.

12-عين يوسف:منها كان الأهالي يزودون الحمام بالماء.

13 المسجد:يتوسط القصر

14-تاجماعت:مكان التقاء الأهالي قرب المسجد.

---

[1] -**Denis grandet :**Architecture et urbanisme islamique.Opu Alger.1992.p64.

15-درب أولاد زيان.

16-درب أولاد خنفار.

17-درب أولاد حمزة.

18-درب أولاد عمر.

19المدرسة:التي أسسها المستعمر الفرنسي.

20حوش نبارة.

21-المصرية: أين تقام الحفلات ويستقبل الضيوف.

22-حوش المشاكف.

23-زقاق نت عمارة.

24-زقاق نلقعدات.

25-زقاق نت علا.

26-زقاق نت خرباش وطلاست.

27-باب أحفير.

28-زقاق أزرو.

29-زقاق نت زيان.

لمعرفة مكان تواجد هذه الأمكنة(انظر الخريطة في الصفحة الموالية).

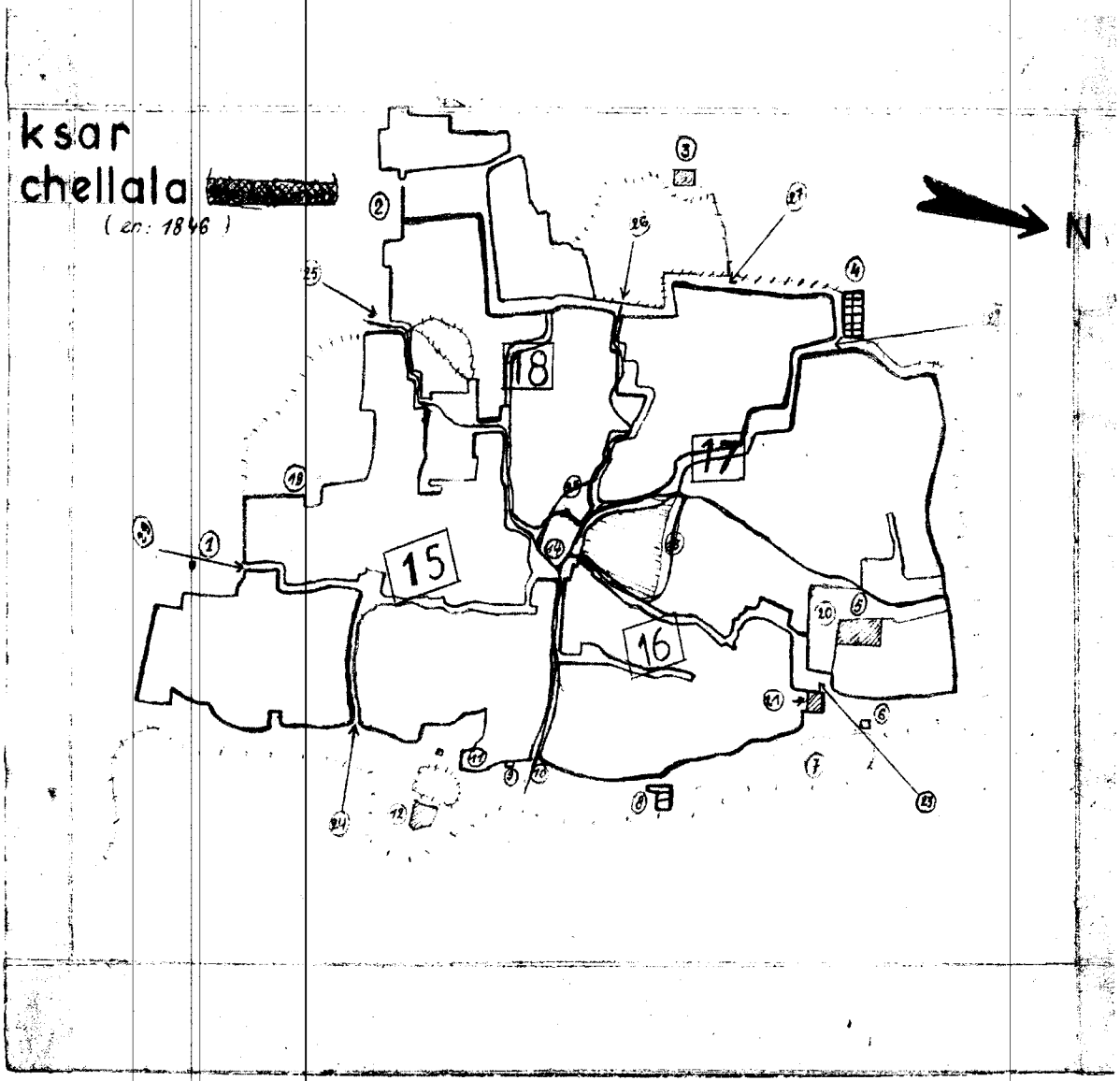

مخطط القصر

المطلب الرابع:تخطيط المساكن:

إنّ المساكن بالشلالة الظهرانية تمتاز بطابع التربيع،شأنها في ذلك شأن المواصفات التي تمتاز بها مساكن العمارة الإسلامية ،وتختلف المواصفات والتصميمات من مسكن لآخر تبعا لموقع المسكن والمساحة التي يشغلها فهناك مساكن تتوفر على ثلاثة أجنحة بدل أربعة ،لكن هذه المواصفات تمتد

في أعماق التاريخ وليست حكرا على المجتمع الإسلامي،وإلى هذا يشير أحد الدارسين بقوله: "وإذا ما حاولنا ربط هذه المواصفات الهندسية المذكورة فإنّنا نجدها أصيلة في تاريخ العمارة الشرقية عموما.ويبدو لنا من خلال ما أمدتنا به الاكتشافات الأثرية،التي أجريت في بلاد الرافدين بين عامي 1926-1927،والتي بينت لعلماء الآثار وجود مبان ذات طابقين بسلم داخلي وغرف حول الصحن،وزعت حسب الوظيفة الحياتية لذلك المجتمع"[1]. إنّ مساكن الشلالة الظهرانية ينطبق عليها ما أشار إليه محمد الطيب عقاب إذ تتوفر على طابقين،بسلم داخلي وغرف حول الصّحن.كل مسكن يحتوي على باب واحد مصنوع من مادة محلية وهي جذوع النخيل بارتفاع يصل إلى 1.30م وعرض يصل إلى 1.80م لكن هذه الأبواب ليست متناظرة حيث إنها تستجيب لمبادئ الشريعة الإسلامية ، فالمهندس "لوكربيزي الذي وضع قاموسا للفنّ العربي الإسلامي الحديث ، قد ذكر أنّ واجهات القصبة في العاصمة ، تبدو منعدمة النوافذ وقد سجل أنه لا أحد يواجه أحداً،و يقصد بالمواجهة هنا تلك المضايقات التي يشعر بها الإنسان عندما يفتح نافذة فيرى جاره... وقد عبّر عن ذلك بقوله إنّ المساكن تتجه نحو الفضاء و لا تقابل فيها الأنظار."[2]

---

[1] –**محمد الطيب عقاب** ،لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر ،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،ط1 ،2002،ص105.

[2] –**رشيد بورويبة** ،الفن المعماري الجزائري .ج2.سلسلة الفن و الثقافة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1974، ص 12.

إنّ هذا الرأي يتطابق مع ما لاحظناه في مساكن القصر إذ توجد فتحات صغيرة جدا تطلّ على البساتين مستطيلة الشكل طولها أربعون سنتيمتراً (40سم) وعرضها عشرون سنتيمتراً (20سم) .

إنّ ما يلفت الانتباه هو أنّ المداخل تتميز بالنظام المنكسر حيث عند الدخول يقابلك حائط منكسر يحجب عنك النظر إلى ما بداخل البيت كما أنّ معظم الأبواب الخاصة بالمساكن تجعلك تنحني للدخول إذ يتراوح طولها ما بين متر وثلاثون سنتيمتراً (1.30م) وعرضها مابين ثمانون سنتيمتراً (80سم) و مائة سنتيمتراً (100سم).وقد قيل لنا إنّ هذا النظام جعل من أجل عدم كشف أسرار البيت ، والحفاظ على حرمته ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى من أجل دخول الهواء البارد إلى الداخل ، إذ غالبا ما يترك الباب مفتوحا .أما طريقة غلق الأبواب فهي تقليدية عن طريق المشطة أو الرزامة وهي عبارة عن جذعين أو ثلاثة جذوع من النخيل يابسة وصلبة تكون في قياسها على أكثر من عرض الباب قليلا ،حيث يكون هدا الأخير بحفرتين على العرض متناظرتين بعمق واحد يصل إلى عشرين سنتيمتراً (20)سم ،يدخل في الجذع في إحداهما ليعاد إدخاله من الجهة الأخرى في الحفرة المقابلة . لكن في المقابل نجد أنّ هناك عائلات تحتفظ بمفاتيح قديمة كبيرة الحجم، وهذا يدل على أن بعض الأبواب كانت تغلق بالمفاتيح أو بعض الأقفال الخشبية (أسدوز).لكن الغالب الأعم أنّها كانت تغلق بالطريقة التقليدية السابقة الذكر.وأنّ هذه المفاتيح ربما ترجع للعهد الاستعماري فقط.

إنّ تخطيط المساكن بقصر الشلالة الظهرانية لا يختلف عن تخطيط مساكن القصور المجاورة ،فقد جاءت هذه المساكن بطابع عمراني بسيط يتميز بالتراص و التناسق ، وهذا ما نلمسه من تشابه في عملية التراص والتضام ليس فقط في الصحراء وإنّما حتى مع بنايات في الشمال كمدينة الجزائر ،ذلك لأنّ النسيج العمراني يقوم "في البلدان وفق التقاليد الحضارية السائدة في ذلك البلد والتي غالبا ما تكون صادقة إلى أبعد الحدود كما أنها لا تكون إلا من خلال تفاعلات كثيرة ،أهمها العوامل المشتركة في الحياة الاجتماعية و الاستجابة للشروط الحضارية التي يسير عليها ذلك المجتمع ،وعلى رأس تلك الشروط الوازع الديني الذي يدعو إلى المحافظة والتزام حدود اللياقة الأدبية والأخلاقية.ولذلك بنيت مدينة الجزائر بشكل التضام إلى بعضها البعض"[1].

ربّما يكون الوضع الأمني والعشائري قد أدّى دوره الأكبر في تلاصق المساكن واكتظاظها ،فعند المقارنة بين عدد المساكن والمساحة المقامة عليها نجد التكدس الكبير لتلك المساكن وساكنيها في بقعة محدودة من الأرض ، مع وفرة الأماكن الصالحة للسكن بجوار القصر . لكن تنعدم الميزة الزخرفية في هذه العمارة الصحراوية فهي تستجيب لمقتضيات البيئة الموجودة فيها[2].

كما أنّ هناك تشابهاً من حيث المادة التي بنيت بها هذه المباني ،وكذا التخطيط الداخلي للبيوت الذي هو التخطيط المعماري الإسلامي ،وذلك لأنّ " المدن

---

[1] –**محمد الطيب عقاب**، المرجع السابق، ص104.

[2] –**عبد العزيز الدولائي**،المدن العربية التقليدية بين الأصالة و المعاصرة ، المجلة العربية للثقافة المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم ،العدد 1مارس 1982،ص158.

الإسلامية تتشابه في تنظيمها في كافة أرجاء العالم الإسلامي اعتمادا على ما ذكره الباحثون للنمط المعماري الإسلامي، إنّ المسكن يقع بعيدا عن الشارع و يطل على فناء داخلي"[1]،والقصد من البعد عن الشارع أنّ المساكن لا تطل عليه ، وذلك لانعدام النوافذ التي تنقل الهواء إلى الداخل وهذا ما لاحظناه في تخطيط المساكن بقصر الشلالة حيث تنعدم النوافذ باستثناء بعض الفتحات الصغيرة، وهذا يتماشى مع عقيدة المسلم، فإذا " كان المسكن عموما لا يحتوي على نوافذ على الشارع ،فهو في الحقيقة تأسس حول فناء داخلي ...فانّ تخطيط المسكن ، ومواقع الغرف في شكل مربع حول فناء رئيسي يتماشى مع عمل المسلم الذي بإمكانه أن يتزوج أربع زوجات في هذه الحالة"[2]. من هنا يتبين الطابع الإسلامي لعمارة هذا القصر، وخاصة المغربي منه، إذ تشير المصادر التاريخية كما أشرنا سابقا إلى أنّ تأسيس القصر يعود لشخصين كانا قادمين من المغرب واستقرا بالمنطقة ،وبنيا القصر وربما حملا معهما الطابع المعماري الإسلامي المغربي وكيفاه بما يناسب البيئة التي حلا بها. والملاحظ في هذا القصر أنّ تخطيط المساكن من نمط واحد وكذا المواد المستخدمة إذ إن التفاوت الاجتماعي والاقتصادي لم يؤثرا عليها فالروايات الشفوية تحكي أنّ الأهالي ساهموا جميعا في بناء القصر .ففضلا عن التعاليم السماوية "التي تحث على العمران والإصلاح فإنّ الهيئة الاجتماعية

---

[1] – **قوراري عيسى**، مرجع سبق ذكره،ص،108.

[2]– **TITUS, BURCKARDT,**L' ART DE L'ISLAM,SINDIBAD,PARIS,1985,p228.

المترابطة والمتعاونة في الإسلام كان حافزا مشجعا لتشييد المدن التي فيها تلتحم الجماعة لتعبد الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحكم بما أنزل الله".[1]

ويذكر ابن خلدون أنّ المدن "والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة و بناء كبير..وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون "[2]. ومازالت هذه العملية تعرف باسم التويزة *.

فإذا كنّا نلمس هذه الوحدة في التخطيط بقصر الشلالة الظهرانية، فإنّ قصر تيوت مثلا تأثر بناؤه بالعوامل الاقتصادية و الاجتماعية .وذلك ما يشير إليه فليكس جاكو Félix Jaquot"إنّ مساكن الأشراف والأعيان في قصر تيوت بنيت قاعدتها من الحجارة ،بينما مساكن الفقراء فقد بنيت من الطّين".[3]لكن أيا كانت المساكن واحدة أم مختلفة المهم أنّها تحمل طابعا عمرانيا إسلاميا يعبر عن مدى تأثر المعماري القصوري بالمناخ من جهة وتأثره بما أمر به الإسلام من جهة أخرى .إلا أنّه وجدت فئة من المستشرقين أنكرت على المسلمين الإبداع و التجديد حتى في ميدان العمارة إذ جعلوا المسلمين مجرد نقلة للطابع المعماري الغربي ،فقد " وجدت

---

[1]–**إبراهيم بن يوسف**،المرجع السابق،ص68.

[2] – **إبراهيم بن يوسف**، المرجع السابق، ص67.

*–**التويزة**:تعني تعاون الجماعة في أداء عمل ما في مجالات الفلاحة والبناء خاصة ويكون هذا العمل بصورة مجانية ،وهذا ينم عن روح التكافل والتضامن الاجتماعيين.

[3] – **قوراري عيسى**،المرجع السابق،ص107.

أنواع من التصميمات المعمارية أنجزت غريبا عن الفنّ الإسلامي ، وهي القصبات و المساكن المحصنة التي يعيش فيها أسياد الأطلس ، الذين يراقبون المسالك و طرقات المداخل الموجودة في بلادهم بأسوارها العالية من الحجر المقصب و الطين "[1]. لكن هناك من يرى بأنّ تخطيط المساكن لا يخضع إلى التأثيرات البيئية فقط لأنّ العامل الدّيني أو المقدس له تأثيره في نمط البناء فعلى "عكس النظرة الجغرافية المنتشرة بين مؤرخي المنشآت الإنسانية،المدن ليست دائما نتاج المنطق الفيزيائي،وإنّما هي غالبا نتاج معتقدات ومواقف روحانية،وعلى منوال هذه الأفكار أين المعطى الأنثروبولوجي الأكثر حضورا في التنظيم المجالي،وهذا ينطبق على السكن القصوري في الجنوب الغربي الجزائري،حيث منطق البناء والتنظيم يخضع لمحددات وتأثيرات،أكثر من تأثيرات ومحددات الجغرافيا والتكنولوجيا،هي القداسة والدم"[2] من هنا، نفهم أنّ المقدس والرابطة الدموية يؤدّيان الدّور الحاسم في نشأة المدن،وهذا ماكان قائما يوم أن كان القصر موجودا ذلك أنّ العائلات المشكلة للقصر تؤلف أسرة واحدة ومجتمعا واحدا ،المهم وكما يرى علماء الاجتماع أنّ العمارة تنشأ نتيجة العلاقة التالية[المناخ+قداسة+تمثلات=مجال عمراني] نلاحظ أنّ المعماري الصحراوي كَيَّفَ تخطيطه للقصر عامة والمساكن خاصة حسب المناخ والظروف الطبيعية القاسية ليجعل من المنطقة مكانا

---

[1]- **G.MARçAIS,**L'art musulman,p-p,174,175.

[2] **-A .Mousaoui,**Espace et sacre au Sahara,Ed.Sindibad,2000,p08.

للاستقرار.إنّ المساكن مبنية من الحجر والطين ،ونظرا لتواجد الأحجار بكثرة في المنطقة، اعتمد عليها الأهالي في بناء القصر ومن ثمة المساكن .

التخطيط الداخلي للمساكن:

لابد الآن من الوصف الدقيق لنموذج من المساكن علما كما رأينا سابقا أنّ مساكن الشلالة الظهرانية كلّها بطابقين ففي الطابق السفلي، يتم الدخول من باب مصنوع من النخيل ثم بعد الدخول يقابلنا جدار منكسر يحجب الرؤية عن الغرباء والمتطفلين من المارة،هذا المدخل يفضي إلى السقيفة التي تتميز بالظلمة لانعدام النوافذ ووجود الفتحات الصغيرة في الأعلى.هذه السقيفة تؤدي بدورها إلى الصحن أحيانا وتختصر في جدار صغير منخفض يحول بين من يريد النظر إلى وسط الدار ،هذه السقيفة تؤدي دورا أساسيا في الحفاظ على حرمة المسكن وأسراره ،كما تعد نقطة انتقال من العالم الداخلي إلى العالم الخارجي وبالسقيفة ينتظر الغريب عن الدار حتى يؤذن له بالدخول فهي تقوم مقام غرفة الاستقبال ،فهي ليست مركبة بل بسيطة ذلك لأنّها لا تحتوي على مقاعد غائرة في الجدار عكس ما نجده في القصور الكبيرة حيث تحتوي السقائف على الرخام سواء في المقاعد أو الأعمدة .و تتميز السقيفة بالبرودة في فصل الصيف، ولهذا يلجأ إليها أهل الدار في تأدية بعض الأعمال لكن ما يميز قصر الشلالة وجود قبو تحت المساكن للرحى لطحن الحبوب حتى لا يتأثر من في البيت بصوت الرحى .

تنفتح السقيفة مباشرة على الصّحن أو كما يسمى بوسط الدار أي يتوسط الأجزاء الموزعة في المسكن وتتصل به اتصالا وثيقا فهو بمثابة وعاء لتخزين الهواء البارد أثناء ليالي الصيف الحارة والهواء الدافئ في ليالي الشتاء الباردة

ويساعد على إمداد الغرف بالضوء والهواء،فكما "أنّ تخطيط المنازل تأثر إلى حد كبير بما يجاوره من طرق ،و شوارع ومنازل وتكوينات معمارية أخرى لاسيما في فتح المطلات وتجنبا للمشكلات التي قد تنتج على الإطلال على المباني المجاورة ،برز الاتجاه نحو استغلال الأفنية في التهوية والإضاءة"[1] ، كما يساعد على تلطيف الجو بداخلها عندما تشتد الحرارة الخارجية لم تقتصر أهمية الصّحن على هذا العامل فقط بل كان يؤدّي وظائف اجتماعية وتنظيمية فهو كما يقول الريحاني:"النافذة التي يطل منها الإنسان على الكون اللانهائي تظله على الدوام قبة سوداء بما فيها من كواكب ونجوم وغيوم،يحس عندئذ بالحرية المطلقة ،وتسترخي فيه روحه كلّما أرهقه طغيان الماديات ،واختنقه ضيق الشوارع وما فيها من ازدحام ،وهو مكان التقاء أفراد الأسرة أيام أفراحها وأقراحها"[2].

كما يوجد في الطابق السفلي المرحاض وجزء مخصص للدواب لكن هذين العنصرين مفصولان عن بقية الغرف ومحجوبين عن الأنظار فالمرحاض عبارة عن قاعدة يصعد إليها بدرجات من 02إلى03 درجات تحتوي في وسطها على ثقب تطل على الشارع حتى لا تسبب أذىً للجار وعادة ما يكون الباب من القماش علما أنّ الفضلات تعدّ أسمدة تستغل في الفلاحة. لأغراض فلاحية .و يوجد بالطابق الأرضي غرفتان إلى ثلاث غرف(انظر المخطط)

---

[1] –**عبد الجبار ناجي** ،مفهوم العرب للمدينة الإسلامية،مجلة المدن العربية عدد14،1984م،ص50.

[2] –**عبد القادر الريحاني**،البيت في الشرق العربي الإسلامي،المؤتمر العاشر للآثار من 15-18نوفمبر 1982م،تلمسان،ص17.

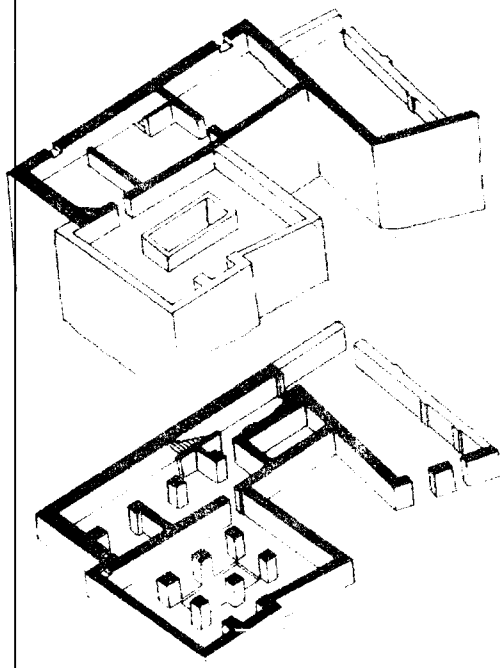

60

دار قاضـــي بطـــابقين

françois cominardi H.T.M ,P55

فالغرفة الكبيرة مخصصة للضيوف هي (الـــصالة) و (تماصـــيرت) باللهجـــة المحلية،كما توجد المطمورة حيث تخزن الزروع في جرة كبيرة. ويربط السلم أو(السلوم) —مبني من جذوع النخيل على شكل منحدر —الدور الأرضي بالدّور الأوّل يتراوح طول السلم بين 3.5م و5 أمتار والملاحظ أنّه بـــدون

واق إنّ الدُّور الأوّل مخصص للعائلة فهو مكان للنـــوم والغـــذاء والراحـــة، و يتكون من صحن مكشوف يسمى بالسواري تطلّ عليه الغرف ،و في أحد أركانه، يوجد المطبخ عادة ما تكون كبيرة الحجم لاحتوائها علـــى المكـــان المخصص للنسيج به مقعد من الحجر حيث تجلس المرأة كما يعـــد المطـــبخ مكان استقبال الجارات أثناء الزيارات العادية هيئ المطبخ بمدخنة على شكل رف مبني من الحجر طوله واحد متـــر(1م)أمّـــا عرضُـــه1.40م خمـــسة وستين(65)سم ،كما يوجد الموقد الذي يملئ بالخـــشب لطهـــي الطعـــام و التدفئة ، واسع في القاعدة ويبدأ في الضيق كلما اتجهنا إلى أعلى . توجـــد بعض الكوات لوضع الشموع من أجل الإضاءة فضلا عن النوافذ التي تطـــل على الفناء.

أمّا السطوح (السدوح) فيتمّ الصعود إليها عن طريق سلالم مـــصنوعة هي الأخرى من جذوع النخيل بدون واق تنتهي بفتحة في الأعلـــى تقـــود إلى السطح هي اليوم بعد العملية الترميم مصنوعة بالإسمنت .كانت تستخدم السلالم للوصول إلى السطح لنشر الملابس في الشمس كما تعدّ وسيلة لتنقل النساء من مسكن إلى آخر[1].

[1] **François Cominardi,**opcit,p58.

تقنية البناء والمواد المستخدمة:

لقد استغل المعماري في الشلالة الظهرانية ما تزخر به البيئة من مواد متوفرة بكثرة ويمكن الحصول عليها دون تعب أو عناء ،تتمثل في التربة الطّينية كما استخدمت الحجارة بمفردها أو مع الطوب ،وهي نوعان، الحجارة الصلبة، والحجارة الهشة، ولقد استعملت الأولى في الأماكن المعرضة أكثر للمياه أمّا النوع الثاني فيستغل لاستخراج مادتي الجير والجص وبنيت المساكن في قصر الشلالة من الحجارة المتوسطة الحجم والتي يمكن الحصول عليها وحملها بسهولة وسبب الاعتماد على عنصر الحجارة والجير[1] راجع إلى أنّها تساعد على التقليل من حدة الحرارة نهارا وتمنع تسربها داخل المساكن استطاع المعماري في الشلالة أن يضع أساسات البناء والأعمدة من الحجارة الكبيرة والتي تعوض الإسمنت والحديد . هذه الأساسات موضوعة بجزء داخل الأرض عمقه يقدر بمتر واحد 1متر، أمّا الجزء الخارجي فيقدر علوه تقريبا بمتر واحد 1متر أما عرض الأعمدة فيتراوح بين ستين(60)سم وثمانين (80)سم. و اتخذت أشجار العرعار والنخيل هي كذلك كحوامل ودعائم وباللهجة المحلية السرايا أو لتغطية المباني أو صناعة الأبواب .

مواد البناء: استعملت حسب درجة أهميتها.

1-**الطّين**بنيت الجدران من هذه المادة واستعملت في ربط وتماسك الحجارة والطوب، ونظرا لدور العقيدة في حياة السكان وما ذكر عن الطّين في القرآن

---

[1] -opcit,p58.

فمنه بدأ خلق الإنسان وإليه يعود مصداقا لقوله تعالى "ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ "[1].والطين عبارة عن صخر متماسك يتألف من الصلصال ومشتقاته بنسبة كبيرة من الماء وقد يحتوي على أنواع من المعادن وهي التي تضفي على الطين لونا معينا مثل اللون الأسود أو اللون الأحمر ،ويعد مادة عازلة وسهلة التشكيل .ويستخدم من الطين الطوب المحلي المجفف في الشمس أو ما يعرف محليا بالقالب ويتم تحضيره على الشكل التالي:

1-تخلط الطّين مع الماء و الرّمل ثم يضاف إليها التبن أو سعف الجريد حتى تكتسب تماسكا ومتانة .

2-يدلك الخليط جيدا بالرِجْلِ ويقلب بالمعول حتى يذوب ويصبح عجينة متماسكة بعدها يُصَبُ في قالب صغير بدون قاعدة على شكل مستطيل وبعدها يترع من القالب .وَيُعَدُّ الطّين من المواد النظيفة بيئيا والعازلة للأصوات ،فهو يحتفظ بالحرارة طوال النّهار وينشرها ليلا ،وذلك لضعف مقاومته الطبيعية والمقدرة ب:0.22حريرة لكل دقيقة وبالسنتمتر مربع[2] .

فيما يخص طريقة صنع الملاط الطّيني فبعد الحصول على العجينة تترك لمدة معينة لتزول منها الشوائب التي تعيق في عملية الالتحام بينما يحضر الملا المخصص لتلبيس الجدران أن يمزج الماء و الطّين أوّلا حتى يحصل على سائل طيني صاف عندئذ يضاف له الرّمل الصافي.

---

[1] -من سورة السجدة،الآية 7.

[2] -حسن فتحي، المرجع السابق، ص-ص90-91.

2 –**الحجارة** :وهي المادة الأكثر استعمالا في قصر الشلالة الظهرانية فقد استخدمت في جل منشآت القصر خاصة الحجارة الصلبة والتي تنقل من جهات قريبة من القصر أمّا الحجارة الصلبة فهي عبارة عن حجر رسوبي مشكل من حبيبات رملية.و أمّا الحجارة الهشة فهي حجارة رسوبية تكثر بالمناطق الصحراوية لوجود طبقات كلسية واستعملت بكثرة لوفرتها وسهولة الحصول عليها ويستخرج من هذه المادة الحجرية الملاط الجبسي وذلك بعد حرقها داخل أفران تقليدية وتستغرق عملية الحرق ما يفوق 15 ساعة حسب الرواية الشفوية تحت درجة حرارة تتراوح بين 150و200درجة وبعدها تستخرج الحجارة وتسحق بواسطة مدق خشبي سميك ،بعد ذلك تصفى للحصول على الملاط هذه المادة تسمح بمقاومة عامل المناخ فهي التي تحمي الجدران .وتستغل الحجارة الهشة كذلك في استخراج الجير بعد حرق الحجارة تحت درجة حرارة ما بين 800و900 درجة مئوية ليفقد بذلك غاز الكربون وتستعمل مادة الجير كملاط لاحم أو طلاء الجدران الخارجية للبيوت يقول بن خلدون :"ومن صنائع البناء أن تجلل الحيطان بالكلس ،بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين ،على قدر ما يعتدل مزاجه من إفراط النارية المفسدة للألحام"[1] .

[1] –**ابن خلدون عبد الرحمان**،العبر ،ص727.

3-الخشب:اعتمد المعماري المسلم في جميع الأقطار الإسلامية ومن بينها الشلالة مادة الخشب التي تدخل في صناعة البواب ،أو الحوامل والأعمدة وتسقيف البيوت والمساجد وإغلاق الأبواب[1]

ومن المواد الخشبية جذوع النخيل وخشب العرعار نظرا لتميزهما بقوة التحمل حيث تستغل النخلة الميتة بعد تقسمها طوليا ثم تترك لتجف أما أجزاؤها كالجريد والكرناف فتستخدم في تسقيف المباني .بعد مد الأعمدة الخشبية المعدة لتغطية المبنى يوضع فوقها القصب والجريد بعد قطعه من النخلة في مرحلة مبكرة ثم تشد بعضها البعض بحبال مشكلة السدة عندها تترك في الماء لبضعة أيام ثم تترك في الشمس لتجف وتصبح صالحة للاستعمال .أمّا نبات الحلفاء الذي كان تتوفر عليه المنطقة بكثرة في السابق حيث يقوى بها السقف فتفرش فوق السدّة أو القصب لسدّ الفجوات الممكنة وبذلك تمنع تسرب الملاط الطّيني المضاف فوقها أثناء عملية التسقيف ومن ثمة منع تسرب مياه الأمطار إلى داخل المبنى

إنّ سقف المبنى وجدرانه تنفذ منه حرارة الشمس إلى الداخل، وعلما أنّ المنطقة حارة فنجد أنّ التغير في درجة الحرارة الداخلية يعتمد بالدرجة الأولى على درجة الحرارة الخارجية.والسقف يعتبر أكثر أجزاء المبنى تعرضا للحرارة طوال ساعات النهار فكان بذلك مصدرا أساسيا لدخول الطاقة الحرارية إلى داخل البيت ،ونسبة نفاذ هذه الكمية من الحرارة إلى الداخل تتوقف على نوعية المواد المستخدمة في بنائه ،فهذه النسبة تقل مع المواد التي تكون نسبة اكتسابها للحرارة بطيئة لذا عمد المعماري في الشلالة الظهرانية

---

[1] المرجع نفسه ص730.

إلى الاعتماد على الطوب ذوالسمك الكبير والابتعاد عن المواد المعدنية لأنّها تكون أكثر اكتساب للحرارة. لذلك في المناطق الحارة الجافة كالشلالة يفضل استخدام مواد للحرارة بطيء إذ ترتفع درجة الحرارة نهارا وتنخفض ليلا فيسبب ارتفاع درجة الحرارة ضغطا على سقف المسكن لتتسرب هذه الحرارة إلى الداخل ،فيكون استخدام هذه المواد عامل على تأخر تسرب هذه الحرارة إلى الدخل لفترة تكون فيها درجة الحرارة الخارجية قد بدأت تقل فينتج عن ذلك الاحتفاظ بدرجة حرارة مناسبة داخل المسكن .لقد كانت المساكن تسقف بجذوع النخيل والجريد ،ومن أشجار القرناف والعرعار ذلك أنّ المنطقة مشهورة بزراعة النخيل وتتوفر على هذه الأشجار بكثرة لتعطي زخرفة هندسية [1].

[1] **FRAN çOIS COMINARDI,**opcit,p61.

سقف من أشجار العرعار و النخيل

حيث يوضع الجريد متلاصقا بعضه ببعض ،بعد تنظيفه من الخوص وتجفيفه فوق جذوع النخيل ،وبعد ذلك يفرش الخوص ،ثم يغطى بالطّين المبلل بالماء مع شيء من الانحدار ليسهل تصريف مياه الأمطار هذا يدلّ على أنّ البربر استطاعوا التكيف مع البيئة وبنو مساكن تلائمهم وفي هذا الصدد يذكر محمد الميلي "وكان البربر منهم الرحل من أهل البيوت التي يخف حملها ...ومنها المقيمون أهل القرى والمدن يتخذون بيوتهم إمّا من الخشب أوالحجارة ويغطون سقوفهم من الديس ...ولهم في هندسة البيوت أشكالٌ ،وفي بنائها

كيفيات ،منها جداران متوازيان بالحجارة ،ثم صب الحصى خلالها حتى يمتلئ ما بينهما من الفضاء وقد أسس البربر مدنا عظيمة "[1].

الملكية والمساحة:بالرغم من قدم القصر وتعرضه لهدم والتخريب إلا أنني استطعت أن أتحصل على بعض المالكين الذين كانوا يسكنون في القصر قبل 1967م مع وجود المساحة الخاصة بكل مسكن.

01-بن مسعود أولاد سعيد:المساحة:169م2.87.

02-حفيان الحبيب:المساحة:122.073م2.

03-بلية أحمد:المساحة:164.834م2.

04-أولاد سعيد بلية:المساحة:197.209م2.

05-بلخير صلاح:المساحة:35.444م2.

06-مباركي الجيلالي:المساحة:220.772م2.

07-موسي البشير:المساحة:145.829م2.

08-خنفار السالم:المساحة:76.252م2.

09-جبارة عمارة:المساحة:58.477م2

10-جارة حمو:المساحة:107.974م2.

11-قزوز محمود:المساحة:216.150م2.

12-كفوس السالم:المساحة:124.986م2.

13-غانم محمد:المساحة:65.642م2.

14-جبارة عمارة:المساحة:108.735م2.

15-هبورأحمد:المساحة:96.934م2.

---

[1] -**محمد بن مبارك الميلي** ، المرجع السابق،ص111.

16-قزوز قزوز:المساحة:92.226م2.

17-قاضي عبد القادر:المساحة:48.330م2.

18-قوراري:المساحة:71.439م2.

19-بن صالح:المساحة:207.903م2.

20-خليفة:المساحة:49.00م2.

حبوس:المساحة:20.271م2.

21-حبوس مسجد:المساحة:51.786م2.

22- ميساوي:المساحة:217.270م2.

23-حداد:المساحة:70.00م2.

24-قاضي:المساحة:39.184م2.

25-.....المساحة:66.910م2. الساكن هنا مجهول.[1]

(انظر المخطط في الصفحة الموالية)

[1] مكتب الدراسات **Beta** البيض

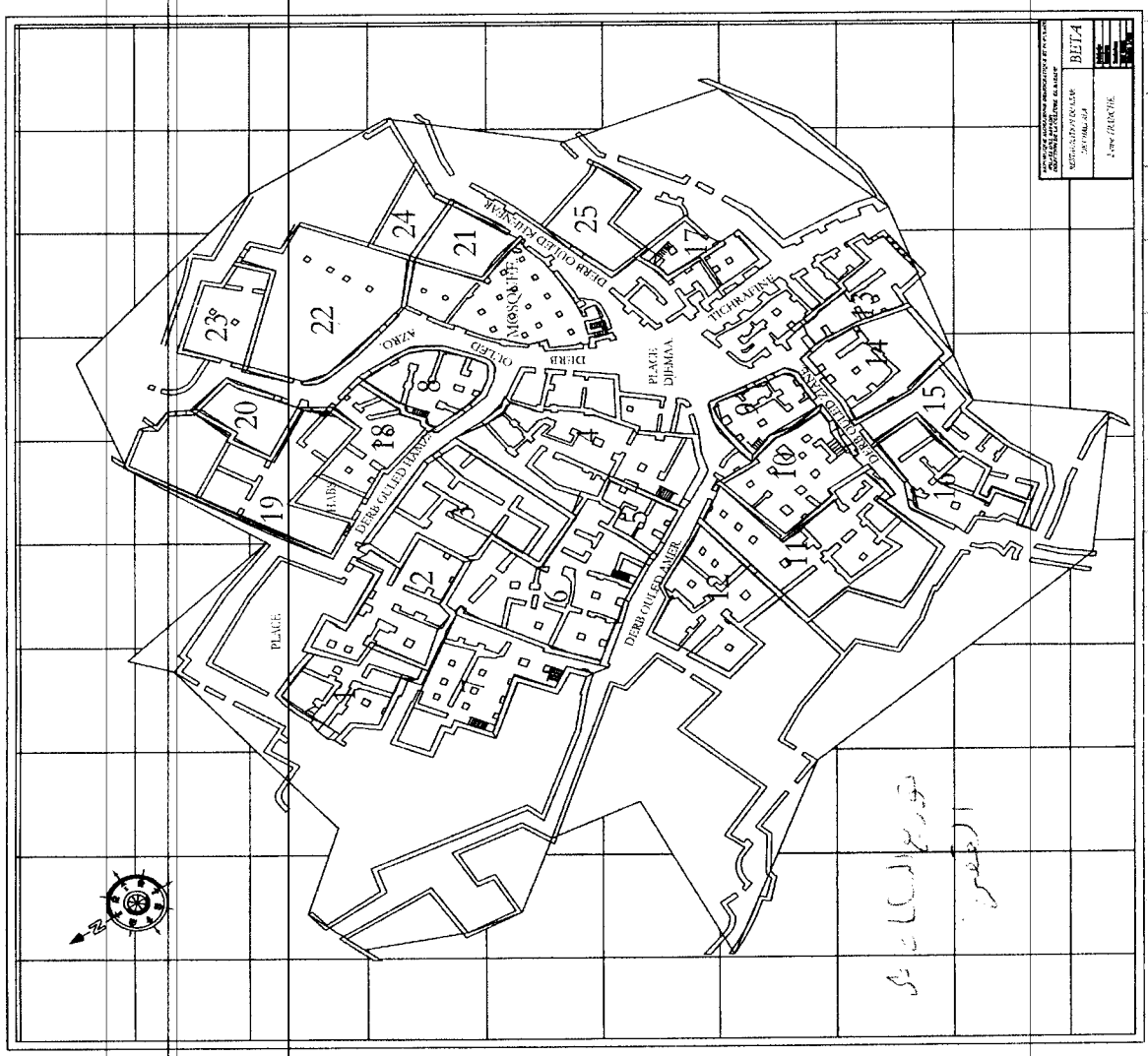

-131-

توزيع السكان على القصر :عن مكتب الدراسات **beta**

المبحث الثاني : الشوارع:

تعدّ الشوارع من العناصر الأساسية التي حرص عليها المعماري في قصر الشلالة نظرا لأهميتها الإستراتيجية في التنقل وربط الداخل بالخارج كالمقابر والبساتين ويتمّ عبرها الاتصال بالمرافق الأساسية في القصر كالسوق والرحبات والمسجد لهذا حرص المعماري في الشلالة على الشوارع لأنّها تؤدّي وظيفة تتمثل في حركة السكان وبعض الحيوانات كالحمير في نقل البضائع كما تتفرع الشوارع الرئيسية إلى شوارع ثانوية ينحصر دورها في التنقل من الدروب والأزقة .

و يوجد بقصر الشلالة الظهرانية خمسة شوارع في جميع الاتجاهات طريق مغطى .يوجد شارع به مكان للجلوس مبني من الحجارة في الشرق يؤدّي إلى باب تيشرافين،الباب الرئيسي للقصر،وأربعة شوارع أخرى تؤدي إلى الأحياء السكنية عن طريق الدروب الأربعة الأساسية :درب أولاد خنفار في الشمال ،ودرب أولاد حمزة في الغرب ،ودرب أولاد عامر في جنوب غرب ،ودرب أولاد زيان في جنوب شرق. (انظر المخطط في الصفحة الموالية) .

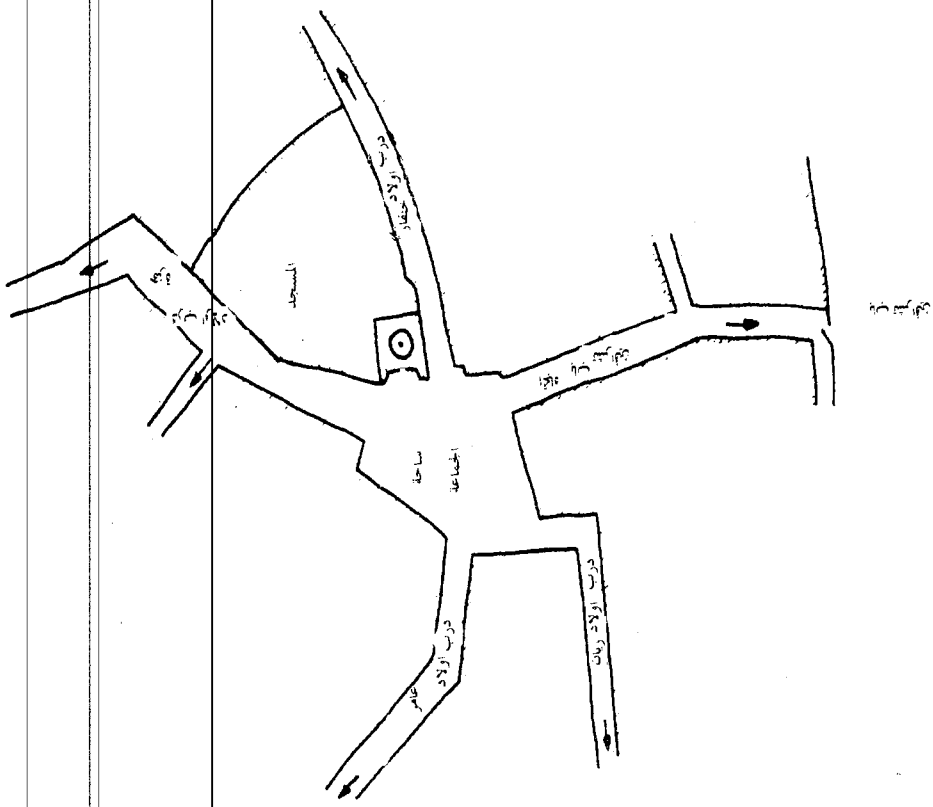

عن فرانسوا كومينارديي ص57

دروب القصر

بهذا يتضح بأنّ الإخوة الأربعة كل واحد منهم يسكن في ناحية من القصر مع العلم أنّ هذه الدروب متلاصقة ومتلاحمة مسقوفة إلاّ أجزاء منها تسمح بدخول الضوء والهواء وعرضها يتراوح بين مترين إلى ثلاثة أمتار تعرف هذه

الدروب بأنّها ضيقة ومتعرجة ينفذ بعضها على بعض مما يسهل عملية المرور للذي يعرفه أمّا الغرباء فيجدون صعوبة في النفاذ إلى الداخل وربّما كان هذا الضيق والتعرج لأسباب أمنية دفاعية كما يستغل أصحاب المساكن الشوارع الفاصلة بينهم وبين الجيران فيمدوا جذوع النخيل على طرف الجيران فوق الشارع ويقيمون عليها غرف .يخضع تسقيف الشوارع لنفس الكيفية التي سقفت بها المنازل ولكن أن تخضع لضوابط الشرع وهذا ما تمّ فعلا في شوارع القصر يقول إبراهيم بن يوسف:"حيث أمر أن تكون الشوارع الرئيسية 60 ذراعا وما سواها 20 ذراعا والأزقة 7 أذرع و ملكيتها خاصة بسكان الخطة لهم حق الانتفاع بها وتنظيمها وصيانتها وإذا ما طرأت ضرورة تسقيف جزء منها فقد حدد الفقه أن لا يترل السقف على قامة راكب فوق جمل وقيل شاهرا سيفه "[1].لقد اهتم المعماري المسلم في تخطيط المدينة الإسلامية على العامل النفسي وفي هذا الشأن يرى جورج مارسيه أنّ معظم المدن الإسلامية القديمة جاءت ضيقة في شوارعها إلاّ أنّ هذا الضيق كان غائيا حيث أنّ أكبر وقت يقضيه الإنسان بين أهله وأبنائه لذا كان الاهتمام بالمسكن وما داخله أكثر من الاهتمام بالخارج[2] .

---

[1] -**إبراهيم بن يوسف**، المرجع السابق، ص84.

[2] -**George marçais,** OPCIT…P518.

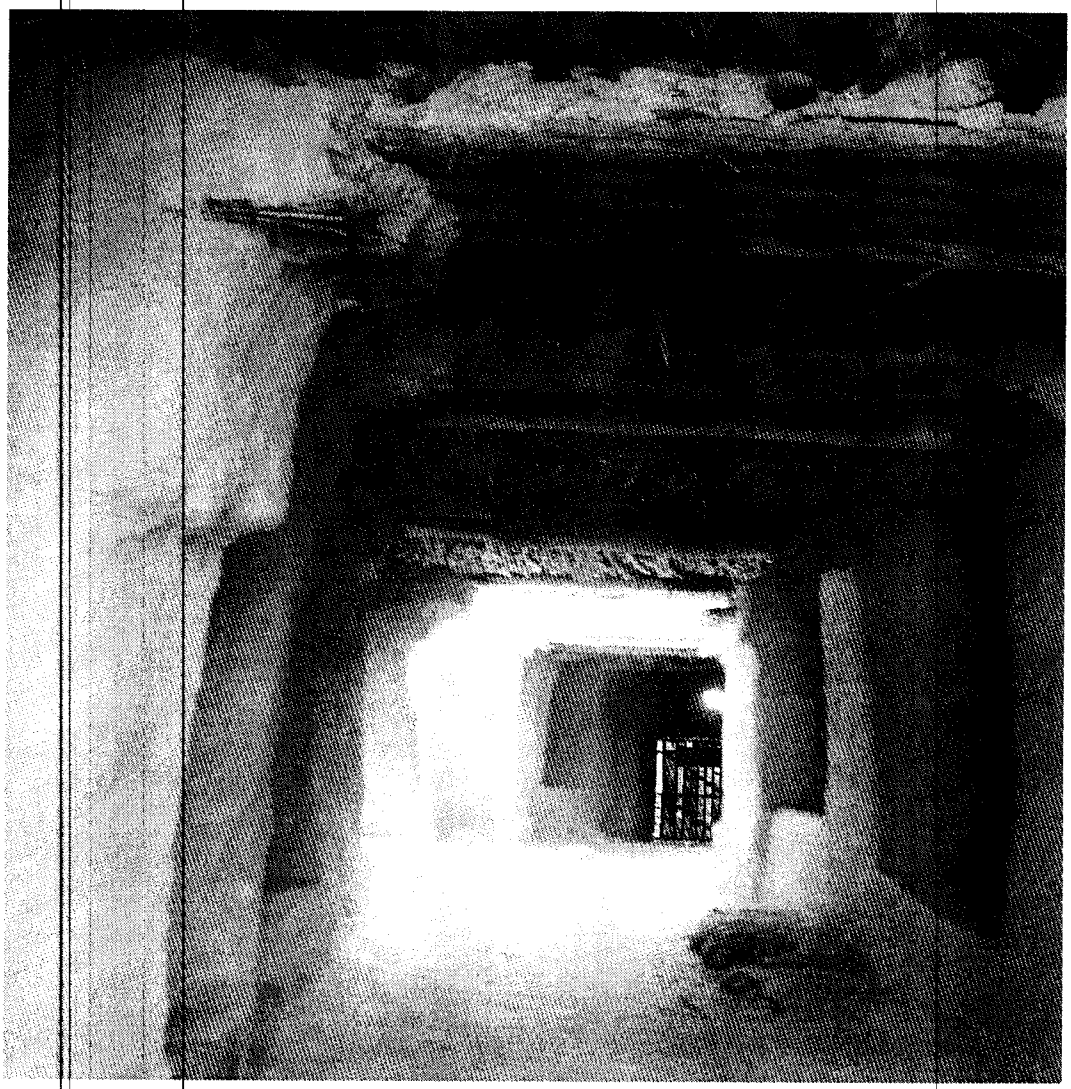

أحد شوارع القصر

المبحث الثالث :الرحبات :

تعرف جلّ القصور الصحراوية مكان يسمى بالرحبة [1] فهي تعتبر النقطة المركزية في نظام القصر حيث تلتقي عندها الدروب في المتنفس لسكان القصر فهي لا تخضع لعملية التسقيف وهذا ما نلاحظه في ساحة تاجماعت باللهجة المحلية حيث يجتمع أهل القصر لدراسة ومناقشة قضاياهم .و ذلك

[1] -S .Bencherif etF.Kettaf, taghit, une Oasis entre le présent et le future, HTM, N02, JUIN94, P39.

لأنّ هذه الميادين تشكل جزءا هاما من المدينة الإسلامية فهي على الصعيد المعماري نغمة فنّية تنسجم وفقها الفراغات المبنية مع الفراغات الحرّة فينتج عنها توازن حيوي للمدينة فيه راحة للرؤية ونفس للمدينة ،كما أنّها تشكل أهمّ مجالات اللقاء والتبادل الإعلامي، وتوفر أيضا المجال الملائم لكل الممارسات الجماعية في المدينة.إنّ الرحبة تساعد على امتصاص كثافة المصلّين عند خروجهم من المسجد لأنّها توجد بالقرب من مدخل المسجد[1] .

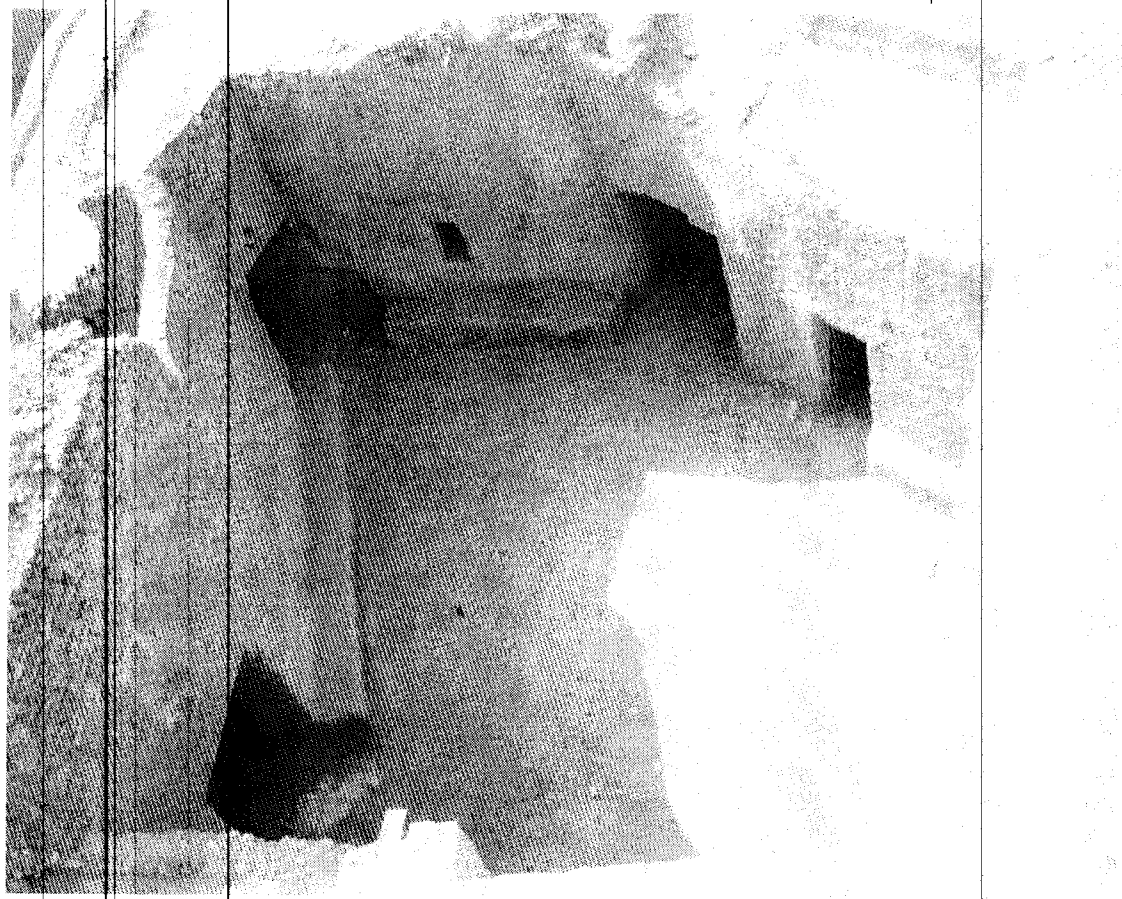

ساحة تاجماعت من أعلى السطح

[1] -إبراهيم بن يوسف،المرجع السابق،ص85.

ويوجد بالرحبة بمكان لجلوس الناس يسمى بالدكة مصنوعة من الحجارة كما توجد بالقصر ساحة أخرى كبيرة تقام فيها الحفلات والأفراح توجد جنوب القصر ،يمكن الوصول إليها من خلال درب أولاد حمزة .

المبحث الرابع:السوق.

تعدّ السوق القلب النابض بالحيوية والنشاط اليومي نظراً لما توفره من منتجات للأهالي والزوار.لقد وجد بالشلالة الظهرانية سوقا خارج القصر حيث تعد فضاءً رحبا غير مبني محاط بدكاكين انطلاقا من أن الرسول (ص) "أنشأ سوقاً بالمدينة كمركز ثانٍ للمدينة، ذا طبيعة اقتصادية، وكانت في شكل مساحة فضاء غير مبنية ويحتمل أن يكون خارج المدينة في الجانب الغربي"[1] ووجود سوق الشلالة خارج القصر حتى لا يتمكن الغرباء من دخول القصر وحتى يتمكن أصحاب القوافل التجارية من ربط خيولهم وجمالهم.لقد استطاع الرحالّة المغربي العياشي أن يصف سكان القصور من خلال الزّيارات التي كانت تقوده إلى الحجّ بناءا على ما ذكره مولاي بلحميسي:"...أنّ سكانَ القصور المحاطة بأسوار مزارعون لوجود الماء، ولذا تحولت قراهم إلى أسوق ومراكز تموين، ومحل مبادلات..."[2] .إنّ الأمر الذي حتّم وجود السوق هو لعرض القصوريين لمنتجاتهم الفلاحية خاصة .وذلك لوجود البساتين الخضراء شرق القصر وشماله وشمال غرب تتمثل المنتجات

---

[1] –المرجع نفسه،ص79.

[2] –مولاي بلحميسي،المرجع السابق،ص20

في البصل والبطيخ والفلفل و الحبوب والفواكه المتمثلة في الرمان والتين والمشمش والخوخ واللوز[1] إلى جانب صناعة الصوف (الجلابة والبرنوس) "أمّا الأنسجة الصوفية المعتمدة على الإنتاج المحلي من الصوف فكانت تصنع الأغطية والجلابيب والأحزمة،وقد انتشرت صناعة البرانيس في أغلب جهات البلاد وإن كان أشهرها برانيس الأطلس الصحراوي التي كانت تباع ب100فرنك للبرنوس الواحد"[2]،كما عرف سوق الشلالة بيع الزرابي التي كانت تشتهرها . غير أن كل جهة عرفت "بأسلوبها الخاص ورسومها المميزة فهناك زرابي الشلالة والأطلس الصحراوي وهي نماذج تميزت بالدقة في صنعها وبطابع محلي عريق وأشكال ورسوم جميلة"[3] ونظراً لحسن الجوار مع القبائل البدوية حميان الشراقة وأولاد سيد الشيخ ،يتم تبادل المنتجات الفلاحية بالقمح الذي يجلب من التل والتمر من قورارة .

إلى جانب ذلك فإنّ استقرار القصوري كان مدعاة لأن يكون مستودعاً لأموال ومخزونات البدوي الذي يتفق معه على ذلك ،وهذه الودائع تشكل جانباً آخرً من ثروة القصوري تعينه على معيشته إلى أن يحين وقت إرجاعها كما أنّ تنقل البدوي يجعله وسيطا هاما بين القوافل التجارية والقصوري ذلك أنّ القبائل البدوية نظمت منذ القديم طرقا للقوافل التجارية بين إفريقيا السوداء وإفريقيا الشمالية ،وتتقاطع هذه الطرق في نقاط وملتقيات

---

[1] **-François Cominardi, opcit, p 55.**

[2] -**ناصر الدين سعيدوني** ، المرجع السابق،نفسه ،ص69.

[3] -المرجع نفسه،ص70.

طرق متعارف عليها ،تلتحق بها في أوقات محددة في السنة مجموعات من البدو عن كل قبيلة ،لتكمل الطريق مع القوافل المارة إلى الجنوب ،وتأخذ هذه المجموعات البدوية منتجات من أسواق قصر الشلالة وباقي القصور المجاورة تتمثل في (الصوف،الغنم ،القمح ،الشعير،علف الماشية،الجبن...)لتتاجر بها في أقاليم توات وتجلب من هناك التمور المجففة خاصة والتوابل وبعض المصنوعات التقليدية ترجع بها إلى سوق الشلالة.إنّ منطقة القصور كانت منذ القديم منطقة عبور والدليل على ذلك النقوش العربات القديمة التي اكتشفت في المنطقة و هي كثيرة "تدل على أنه خلال هذه الفترة كان الجنوب الغربي منطقة عبور مع كثافة في المرور بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب أشار الزوجان كورنوفان cornovane إلاّ أنّ ر.موني R.Mouni هو الذي تمكّن من تحديد "طريق العربات " الذي ينطلق من الجنوب الوهراني والجنوب المغربي ليعبر الصحراء الغربية وموريتانيا ....توجد رسوم العربات خاصة بكاف الرحلة ،وحجر بريك ورصفة الحمرة بالقرب من تازينة "[1].

وفي العصر الإسلامي كانت منطقة الشلالة وغيرها من القصور وسيطا في نشر الإسلام حيث عرفت الصحراء الإفريقية الكبرى خلال العصر الوسيط حركة بشرية هائلة تمثلت في المدّ الإسلامي السلمي الذي مثّلته دولتَا المرابطين والموحدين وكلّ دول المغرب الإسلامي ،وذلك خلال القرنين الرابع والسادس الهجريين ،إذ تَمَكّنَ المسلمون من القبائل البربرية من نشر الإسلام

---

[1]– **خليفة بن عمارة** ،لمحة تاريخية عن الجنوب الجزائري الأعلى،ص24.

في غرب إفريقيا وشرقها [1].إذن ظلّت منطقةُ القصور عبر التـــاريخ القـــديم والحديث واسطةً بين الشمال والجنوب ،ومعبرَ القوافل لنـــشر الإســـلام. هذه المحطّات التجارية خاصة هي التي جعلت منها قـــصوراً ".فالعلاقـــات الاقتصادية قد حدّدت نمط قيام الظاهرة العمرانية في الجنوب الجزائري.."[2] .

---

[1] –**يحي بوعزيز**،تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين ،دار هومة،الجزائر،2001،ص14.

[2] –**محمد الطيب عقاب** ،نفس المرجع السابق،ص05.

الفصل الرابع:

العمارة العسكرية

المبحث الأول :الأسوار و المداخل

المبحث الثاني : الأبراج

العمارة العسكرية

اهتمّ المسلمون بالعمارة العسكرية وهناك من يسميها العمارة الحربية منذ فجر الإسلام، لأنّ الإسلام حثّهم على إعداد القوة والدفاع عن أراضيهم ودينهم فيذكر المولى سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [1]،ويقول أيضا:﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[2].

لذا،عَدَّ الإسلام تشيّيد الاستحكامات العسكرية من أسوار وحصون وقلاع وأبراج من الوسائل التي تساعد على حفظ دماء المسلمين وحرماتهم . من هذا المنطلق، جاء اهتمام حكام المسلمين بالعمارة العسكرية في إطار حرصهم على تأمين حياتهم وحياة رعاياهم داخل المدن التي شيدوها أو التي فتحوها ،وكان الحرص واضحاً منذ بداية العصر الإسلامي ،فقد حصّن النبي –صلى الله عليه وسلم–المدينة المنورة بحفر خندق حولها في غزوة الأحزاب ؛لهذا جعل العلماء تشيّيد القلاع والحصون في عداد الواجب ،إذ شارك فيها الرسول (ص) مع جمع من المسلمين حيث كان الحفر في الجهة الشمالية التي كانت معرضة للخطر خلافا للجهات الأخرى التي كانت تحيطها الحارات

---

[1] –من سورة الأنفال ،الآية70.

[2] –من سورة الحج، الآية78.

وقد حفروا أربعون ذراعا عمقا على طول 12000 ذراعا طولا كما حصّنت جدران المنازل القريبة من الخندق[1].

لقد أشار بعض المؤرخين أمثال ابن خلدون إلى حسن اختيار الموقع الخاص بالمدن ،حيث يشترط أن يكون الموقع حصينا بطبيعته ،كأن يكون على هضبة متوعرة من الجبل ،أو باستدارة بحر أونهر حتى يصعب منالها على العدو إلى جانب اهتمام المسلمين بتشييد البروج والقلاع والأسوار لإقامة العراقيل أمام المهاجمين وتوفير العناصر الدفاعية المتعددة للمدافعين عن المدينة لتسهيل مهمّتهم[2].

ومن بين المدن التي تم تحصينها مصر إذ اعتمد عمر بن العاص على حصانة موقع مدينة الفسطاط و لم يشيّد بها أسوارا كما استخدم صلاح الدين الأيوبي سورا واحدا يسهل حماية الفسطاط والقاهرة من حملات الصليبيين لأنّه لو أفرد كلا من الفسطاط والقاهرة بسور لكل منهما لا يمنعهما وتحتاج كل منهما إلى جيش مفرد يحميها. لذا، رأى أن يدير عليها سورا واحدا، فاشترط علماء السياسة الشرعية أنّه ينبغي بعد تأسيس مدينة جديدة تحصينا لحمايتها من الأعداء[3]

---

[1] -**إبراهيم بن يوسف**،المرجع السابق،ص80.

[2] -**قوراري عيسى** ،المرجع السابق ،ص131.

[3] -**خالد عزب** ، الاستخدامات الحربية في المدن الإسلامية-المنهل –نفس المرجع السابق، ص 230

وفتح بهذا السور عدة أبواب لا تزال القاهرة في بعض مناطقها تحتفظ بأسماء هذه الأبواب.كل هذا يدل على الحنكة والإستراتيجية الحربية التي تميز بها قادة المسلمين في الدفاع عن دينهم، وأرضهم .وقد اعتمد العرب في تأمين ظهورهم ،وفتوحاتهم،على مجموعة من الحصون والمعسكرات التي كانوا يقيمونها فبالأراضي التي تم التفاهم مع سكانها ،وأسسوا القواعد البحرية والرباطات والمحارس [1].وقد استفادوا من غزوهم لعدة مدن مسورة إذ عجزوا في الكثير من المرات من اقتحام الحصون. يقول موسى لقبال :"وليس إلى الشك سبيل في أنّ قادة الجيوش العربية في إفريقية كانت تنقصهم المهارة في القيادة ،والخبرة في أساليب حصار المدن المسورة ،وقد لاحظنا عجزهم وحيرتهم أمام مناعة أسوار طرابلس ،وحصون ،جولاء ،وباغاية وسبتة"[2] من هنا ربما أدرك العرب والمسلمون أهمية الحصون والقلاع في الدفاع عن المدينة.

ولهذا لمّا تكونُ الحصون غير محكمة، يتمكنُ العدو بكل سهولة من اقتحام المبنى وفي هذا الصدد يتحدث ابنُ عذارى المراكشي عن دخول النصارى مدينة المهدية"وسبب ذلك ،مع قدر الله تعالى ،غيبة عسكر سلطانها عنها

---

[1] -**موسى لقبال** ،المغرب الإسلامي ،منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج،ص-ص،135-136.

[2] -المرجع نفسه،ص138.

ومفاجأة الروم قبل استقدامه إليها ،وأخذ الأهبة للقائم ،وخلو كافة النـــاس من الأسلحة والعدد وقصر الأسوار وتهدمها"[1] .

العمارة العسكرية في الشلالة الظهرانية:

المبحث الأول: الأسوار والمداخل:

من أهمّ العناصر المعمارية في إنشاء المدينة السور والمداخل.و تعدّ مباني دفاعية أي لها طابعاً دفاعيا و عسكرياً. ويتبين أيضا بروز ملامـــح العمـــارة العسكرية والحربية كضرورة عمرانية وهذا مـــا نجـــده في جـــل القـــصور الصحراوية عامة ،و قصور الجنوب الغربي خاصة ،فهي محصنة طبيعيا، فقـــد توجد فوق قمم الجبال ،أو على سفوحها ،أو على هضبات صخرية صـــلبة لكن هده التحصينات لم تمنع المعماري القصوري من بناء الأســـوار خاصـــة المتقدمة منها.إذ وجد بالشلالة الظهرانية سور كبير دفاعي مهمتـــه حمايـــة البساتين أولا ثم القصر ثانيا ."لقد برزت الحاجة إلى تحصين المدن منذ عهـــد قديم عندما توسع عمرانها و زاد ثراؤها ،وبدأت تتعرض لأطمـــاع الأعـــداء الدين يحاولون السيطرة عليها ،و نهب ثرواتها ممـــا أدّى إلى بنـــاء الأســـوار من حولها "[2] .

عرفت الشلالة الظهرانية تحصينات ،كانت في البداية عبارة عن أسوار متقدمة عن القصر الهدف منها هو حماية البساتين أولا ثم القصر ثانيا والـــتي لم يعد اليوم لها وجود ،لكن هذا لم يمنع من وجود السور المحيط بالقصر يصل

---

[1]-**ابن عذارى المراكشي**،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ومراجعة ج س.كولان وإ.ليفي بروفنسال،ج1،دار الثقافة،بيروت1980 م،ص301.

[2] **بيتر فارب** ،بنو الإنسان ،ترجمة زهير كرمي.سلسلة عالم المعرفة،الكويت،ص139.

طوله إلى تسعة أمتار(9م) وسمكه حتى خمسين سنتيمتراً(50سم)، يبدأ من عين تيزدمت مرورا بعين بن ساسي، ثم عين أعمر .وأخيرا عين زيان فهذا السور يربط الينابيع المائية الأربعة و التي تبعد عن القصر بمسافات مختلفة

إنّ من أساسيات حماية قصر الشلالة أن دار على منازلها جميعا سياج الأسوار.وأقيمت الحصون منذ القديم على أساس وضع العراقيل أمام المهاجمين وقد اكتسبت العمارة العسكرية على يد الأهالي خبرات عديدة وتطورت أساليب الدفاع عندهم ،فزودت الأسوار بوحدات معمارية جعلتها تقوم بدور هجومي على الأعداء ،كما تقوم بدور دفاعي ،ومن هذه العناصر الممر والممشى داخل السور الذي يحقق للمراقبين رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع. بالإضافة إلى السقاطات التي يمكن من خلالها إسقاط الماء المغلي على العدو والضرب بالسهام لمن يحاول اقتحام السور كما زودت الأسوار بأبراج تطورت في أشكالها حتى تحقق للمدافعين الإشراف على أكبر قدر ممكن من أجزاء الأسوار فيتمكنوا من إلقاء القذائف على المهاجمين .

(انظر الصورة في الصفحة الموالية)

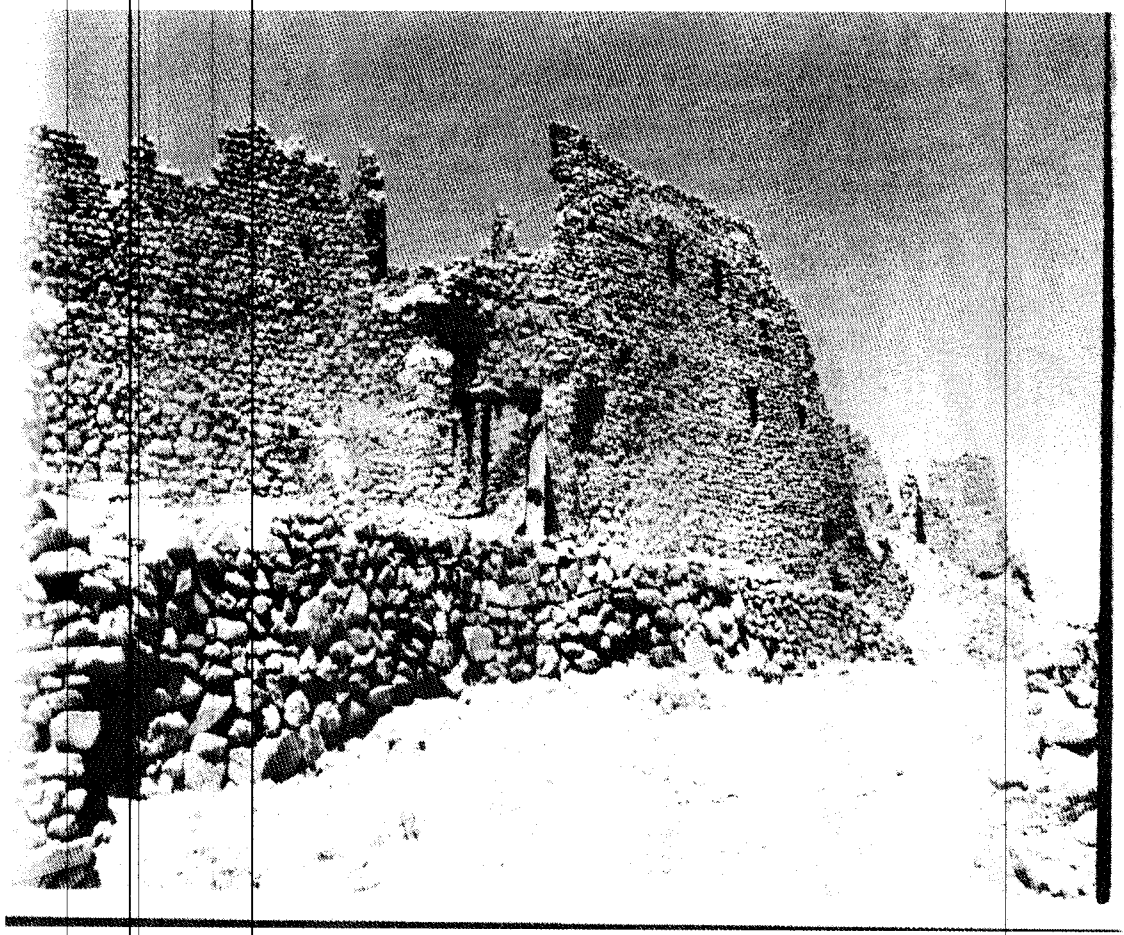

سور القصر

إنّ المعماري القصوري حرص على أن تكون الجدران الخارجية للمساكن أسوارا، إذ شكل تلاصق المساكن وتداخلها سورا يحيط بالقصر من جميع الجهات بحيث لا يمكن الدخول إلى القصر إلاّ من خلال الأبواب المعلومة، إذ نجد أنّ شكل القصر شبه دائري ، والذي يسهل عملية الحماية حيث ذلك لأنّ " القصور الدائرية الشكل والتي توفر في حد ذاتها ميزات تكاد تنعدم في ذات الشكل المستطيل فالتراص والتلاحم واستغلال قدر ضئيل

من المساحة ، وكذلك سهولة الحماية هي ميزات تتوفر بالشكل الدائري أكثر من غيره"[1].

ونظرا لأنّ القصر يطلّ على المجاري المائية، والبساتين، وجب التفكير في حماية هذه الممتلكات، "لأن الواحات مبنية في مجرى المياه، وهي أشد نهبا الأمر الذي يتطلب منها، ويقتضي تدعيمها وتمتينها."[2] لكن هناك من يضيف إلى الحماية و الأمن عوامل أخرى وجدت من أجلها الأسوار كالحرمة العائلية، "فشكلت الأسوار رسما حدوديا للفراغ الحرمي و كذلك حماية معنوية ، ومن هذا المنطلق برز كستار للمدينة يلتف حولها فقيل عن المدينة الإسلامية أنها ملفوفة أو مستورة ، وغير مغلقة."[3]

لكن لو كان الأمر يتعلق بالحرمة لما وجدنا مُدُناً غَيْرَ إسلامية اعتمدت نظام التحصينات فبنت الأسوار، فغايتها الجوهرية دفاعية محضة ،ولماذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بناء الخنادق ؟ولمادا حصّن الخلفاء المدن الإسلامية؟ إلاّ خوفا من العدو .

لقد اعتمد المسلمون نظام المداخل التي تعدّ هي أيضا من أهمّ العناصر المعمارية التي اهتم بها العرب والمسلمون فقد "ظهرت المداخل في المسجد

---

[1] -**علي حملاوي** ،المرجع السابق ،ص 45

[2] -**رشيد بورويبة**،الفن المعماري الجزائري،ص 58

[3] -**إبراهيم يوسف** : المرجع السابق . ص85.

و القصور والمباني الإسلامية الكبيرة، واستخدم العرب المداخل من أقدم العصور التاريخية."[1]

و للمداخل غايات دفاعية لحماية القصر أو المدينة فضلا عن سيطرة فكرة الحرمة أي للمحافظة على حرمة البيت أو المبنى.ولعل السبب في استخدام المداخل في البيوت والقصور هو تقصير المسافة دون الحاجة إلى فتح الأبواب الكبيرة إلا عند الضرورة للخروج،كانت المداخل الموصلة إلى الداخل على شكل زاوية قائمة أو كانوا يجعلونها ملتوية كي لا يتمكن العدو الذي بباب القصر من رؤية من هم بالداخل أو يصوب سلاحه إلى من فيه كما أنّها تبعث على الطمأنينة والمحافظة على حياة من في داخلها: "فجاء فراغا وسطيا يصل الداخل بالخارج ويحمي بذلك حرمة المدينة ، وربما شكلت المداخل المنحنية الزاوية في المدن العباسية علاوة على صلاحيتها نموذجا ناضجا لهذه الفكرة ."[2]لكن هل البساطة التي يتميز بها قصر الشلالة الظهرانية تمثل أنموذجا لهذه العمارة ؟.

إنّ الزيارة الميدانية لهذا القصر الذي يشهد عملية ترميم واسعة وعل مراحل متتالية لجميع مرافقه بينت لنا أنّ السكان كانوا يدخلون إلى القصر عبر مدخلين رئيسيين ، وآخرين ثانويين .

---

[1] -**محمد حسين جودي**،المرجع السابق ص66

[2] -**إبراهيم يوسف**، المرجع السابق، ص85.

*-**تيشرافين**:مصطلح بربري يدل على تاجماعت وهو مكان استراحة الأهالي في وقت الفراغ أو مناقشة قضايا تهمهم.في جميع المجالات.

الأبواب الرئيسية :

-**باب تيشرافين** و هو الباب الرئيسي الذي يطلّ على البساتين الغربية بجانب القصر والذي يؤدي إلى ساحة تاجماعت.ويبعد عنها ببضعة أمتار تكثر بـه الحركة لأن الأهالي يستخدمونه لأنه يربط القـصر بالبـساتين الموجـودة في الجهة الشرقية منه .(انظر الصورة).

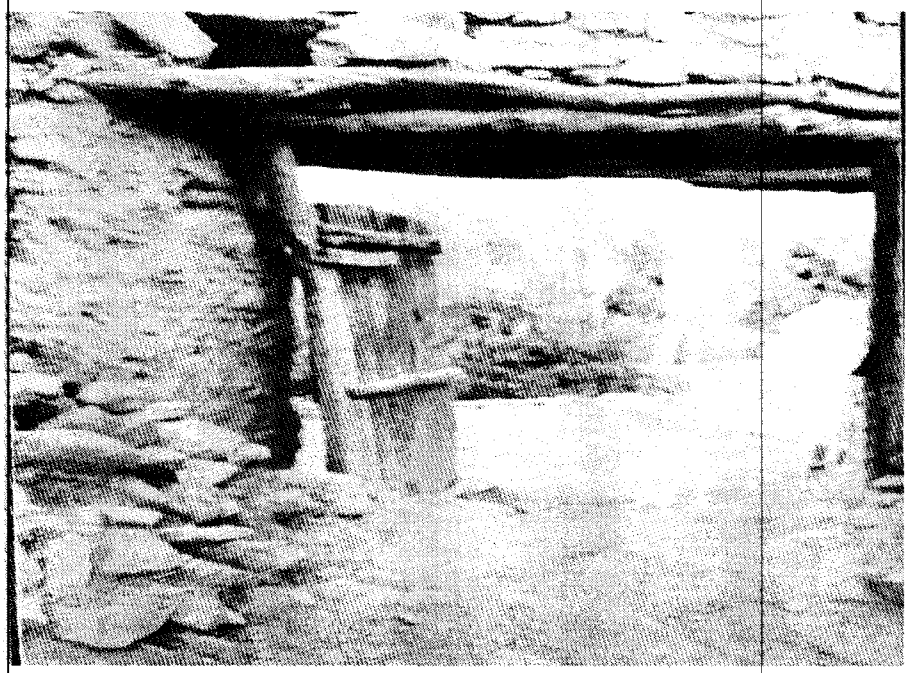

باب تشرافين

-**باب تافرنت**:تعني الرحبة أو مكان المبادلات التجارية الموجـودة خـارج القصر.

الأبواب الثانوية:

باب أحفير:موجود بالناحية الغربية للقصر وحسب الرواية الشفوية فإنه كان كثير الاستعمال إبان الثورة التحريرية .

باب الشديري:وهو يربط القصر بالمقبرة .

هذه الأبواب عبارة عن وسائل حماية لمن هم بداخل القصر الذي لا يدخله الأغراب، تقفل ليلا وتفتح عند الصباح ،وكانت ذات مصرعين مصنوعة من جذوع النخيل "وتسدّ هذه الأبواب فتحة المداخل ،ووجدت الأبواب لتحافظ على حرمة البيت أو المبنى ...وظهر هذا النوع من الأبواب في دار الإمارة بالكوفة"[1].

إنّ أهمية تعدد الأبواب والمداخل تكمن في فسح المجال أمام الداخلين للقصر حتى لا يتزاحموا أثناء دخولهم وخروجهم ،كما تسمح للناس استعمال أقرب الأبوب .

و صمم قصر الشلالة الظهرانية وفق خطط بنائية أمنية ممثلة في إحاطة القصر بسور ضخم يضم داخله جميع البيوت ويتم الدخول والخروج من خلال الأبواب الأربعة التي ذكرناها آنفا.

المبحث الثاني: الأبراج:

تعدّ الأبراج من أهمّ عناصر العمارة الحربية التي اهتمّ المسلمون بتشيّيدها حرصا منهم على حماية أرواح المسلمين وممتلكاتهم ،كما تعدّ

[1] -**محمد حسين جودي** ،المرجع السابق،ص67.

من العناصر التي ماانفكت تواكب التطور الذي عرف في الأفكار الحربية بسبب تطور المدفعية فأصبحت أقلّ ارتفاعا وأكثر بروزا عما كانت عليه من قبل وتحول شكلها من المربّع و المستطيل إلى الشكل الدائري أو الشبه الدائري قسّمت الأبراج إلى قسمين يتمّ الصّعود إلى الطابق العلوي بواسطة سلالم متحركة أما الطابق السفلي فيدخل إليه بسلالم داخلية [1].

يبلغ ارتفاع أبراج القصر مابين تسعة أمتار(9م)عشرة أمتار(10م) صنع سقف البرج من جذوع النخيل والعرعار وخضع لنفس تقنية تسقيف البيوت والمسجد .

وزودت هذه الأبراج بمزاغل أو فتحات تمكّن المراقبين والمدافعين من توجيه سهامهم للعدو المهاجم في اتجاهات مختلفة وفي طوابق الأبراج المتعددة.تستخدم في النهار لحماية القصر والبساتين ،لأنّ أغلب السكان يقضون معظم الوقت في الزراعة ،عدد الفتحات من ثلاث إلى أربع فتحات تمكّن كما رأينا من المراقبة وإخراج السلاح.

إنّ تشيّيد الاستحكامات الحربية في الشلالة الظهرانية راجع إلى الوضع الأمني، إذ كانت الشلالة محاطة بقبائل بدوية لا تخضع لأي سلطة ، الأمر الذي ربما حتّم عليهم حماية أنفسهم من غارات هؤلاء خاصة وأن الشلالة معروفة بمقومات الحياة بينابيعها المائية وبساتينها الخضراء أي الطعام للإنسان

---

[1]- **علي حملاوي** ،المرجع السابق ،ص178.

أو ما تحتاجه المواشي للبدو الرحل في المنطقة فالقصر كان مهيـــأً دفاعيـــا خاصة من الشمال إلى الغرب ومحمي بثلاثة أبراج [1](انظر الصفحة الموالية)

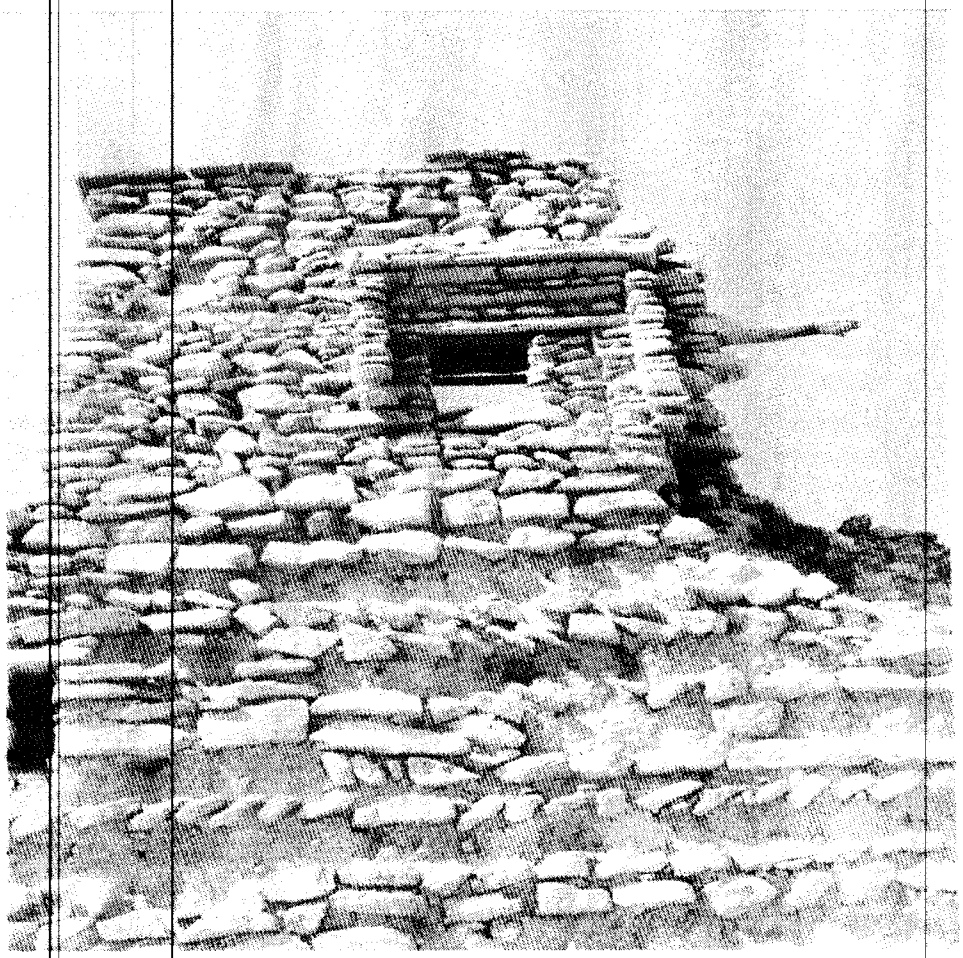

أحد أبراج القصر

في ظلّ هذه الأوضاع قام ونشأ القصر ،فحتّم المصير الواحد على أهل الشلالة الظهرانية الترابط والتماسك وإيجاد الحلول المناسبة ،إذن نرى بأنّ الظروف الأمنية قد أدّت الدّور الأكبر في تخطيط القصر،حيث الخوف من اللّصوص ومهاجمة الأعداء.

---

[1] -**Cauvet** ,les marabouts ,revue Africaine n°1889,opu.AlgerP51.

الخاتمة:

بعد قيامنا بهذا البحث التاريخي والمعماري خلصنا إلى أن الإنسان بالشلالة الظهرانية استطاع أن يتكيف مع المناخ السائد في المنطقة والذي انعكس على التخطيط العمراني للقصر ،وكذا توفرت شروط الاستقرار التي لمح إليها ابن خلدون وهي المنابع المائية والموقع الحصين .

فكل الآثار الموجودة تدل على أنّ المنطقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ويتضح ذلك من خلال المقابر القديمة (التمولوس) والنقوش الصخرية. تَبَيَنَ لنا أن السكان الأصليين للشلالة هم الجيتول الذين قاوموا الاحتلال الروماني ،ذلك لأن الرومان لم يدخلوا منطقة القصور .وعرفت فيما بعد هجرات للقبائل البربرية الزناتية التي ساهمت في الكثير من الأحداث التاريخية فبعد الفتح الإسلامي ، سارع البربر إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه لكنهم شاركوا في الحركة الرافضة لطغيان أمراء بني أمية ،الأمر الذي جعل الأهالي يعتنقون مذهب الخوارج خاصة الحركة الإباضية ،كما كانت الشلالة مسرحا لعدة أحداث خاصة صراعات الدولة الزيانية وما أدته قبائل بني عامر الهلالية في المنطقة .أما في مرحلة العهد العثماني ، فإن الشلالة كباقي القصور الأخرى قاومت السلطة العثمانية و لم تعترف بها مما عرضها لهجوم حاكم وهران الباي محمد الكبير .

لقد عرف قصر الشلالة الظهرانية عدة طرق صوفية خاصة الشاذلية والتيجانية فقد مكث فيها سيدي أحمد التيجاني ،وسيدي سلمان أبو سماحة وابنه محمد ،وسيدي أحمد المجذوب، و سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي مازال ضريح ابنته عائشة شاهداً على ذلك وبهذا كانت الشلالة مركز إشعاع

ديني وفكري.ونظراً للموقع الإستراتيجي للشلالة، فإنها كانت مركز عبور للقوافل التجارية من تيهرت فالشلالة إلى سجلماسة وقوافل الحجيج والرّحالة المغاربة خاصة، أمثال العياشي .أمّا أثناء الاحتلال الفرنسي فإنّ الشلالة استطاعت أن تقاومه منذ البداية إذ احتضنت الأمير عبد القادر وافتدته بستين (60) شابا من القصر ،كما أدّت دورا أساسيا في ثورة أولاد سيد الشيخ.وفيما، بعد عرفت الشلالة تاريخا حافلا مع الشيخ بوعمامة وخاضت عدة معارك معه أهمها معركة الشلالة .

إنّ التخطيط المعماري تأثر هو أيضا بالبيئة المحلية باستغلال المواد الموجودة في المنطقة كالحجارة والطّين والنخيل وأشجار العرعار والقرناف حيث استطاع المعماري في الشلالة أن يتكيف مع المناخ كيف استطاع المعماري و أن يجسد الطابع الاجتماعي والعقائدي في تخطيطه للقصر إذ نجد المسجد يتوسط القصر الذي تؤدي إليه كل الدروب ، وأن يبني الحمام والمحكمة حيث عرفت الشلالة النظام القضائي في الزواج والبيع وفض الخصومات ...الخ.فالملاحظ أنّ قصر الشلالة ينتمي إلى العمارة المغربية ،و كان رمزا للمدن الإسلامية بوجود العناصر المعمارية وطرزها الإسلامية كوجود الأسواق ،والشوارع الضيقة وكذا نظام الدفاع عن القصر بالأسوار والأبراج

في الأخير أن قصر الشلالة يعتبر أنموذجا للقصور العربية والإسلامية يدلي بالكثير من المعلومات، و يحفظ شيء من جوانب الحضارة الإسلامية في طرز المباني،و البساتين المحيطة بالقصر .إنّ ما بقي من آثار يوحي بالحياة اليومية التي عاشها الأهالي في القصر ويرمز إلى الأصالة الإسلامية والعربية ،لذا نرجو

من كل الهيئات الوصية أن تولي عناية فائقة بهذه القصور بالرغم من أنّها تشهد عملية ترميم واسعة قد تكون مستقبلا منتجعا سياحيا يحرك السياحة بالجزائر.

وبعد ،فلا أدّعي أني وصلت إلى المبتغى ،فعملي لا يزال البحث فيه مفتوحا لسد ثغرات أخرى ،ربما لم أنتبه إليها أو سهوت عنها .

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
1- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾	6
2﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾.	54
3-﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	68
4-﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾	68
5-﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾	68
6-﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾	94
7-﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾	95
8-﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾	113

9-﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾	130	
10- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾	130	

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
1-وَلَا اعْتِكَافَ إلاّ فِيْ مَسْجِدٍ جَامِعٍ.	55
2- ألا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِهَا"	61
3-ولا تَسْتَطِيْلَ عَلَيهِ بِالبُنيَانِ ،فَتَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيْحُ والهواءُ،إلَّا أنْ يَأذَنَ.	95
4-المُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ كَالبُنْيَانِ المَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً.	96

فزان		16-15
طرابلس		1617132
فلسطين		74
المغرب		11-24-15-28-29-30-31-32-34- 40-41-56-67-76-81-105
بلاد السودان		19
فجيج		19-84-
الجلفة		19
بوسعادة		19
الحضنة		19
الونشريس		19
المغرب الأوسط		24-25-30-31-32-33-36-38
تيهرت		24-143
إفريقيا		11-12-13-23-24.
تلمسان		16-33-40-35-41-76-78-80-82
بلاد الزاب		16-32-33
غرناطة		35
توات		19-127
الأندلس		67-35-71-76-77
الأبيض سيد الشيخ		1-49
سيد الحاج بن عامر		1

كراكدة	1
مشرية الصغيرة	1
العين الصفراء	1-4-46
المايعة	1
خلاف	1
الغسول	1
بريزينة	1
سيدي سليمان	1
سفيسيفة	1
ستيتن	1
البصرة	5-81
الفسطاط	81
سبتة	132
المهدية	132
باغاية	132
القيروان	78
المرسى الكبير	35
بجاية	25
فاس	1-40-41
مكة المكرمة	81
المولاق	48
تيوت	1-10-106-ج

سيدي تيفور	1
رصفة الحمرة	127
تازينة	127
كاف الرحلة	127
حجر بريك	127
بني ونيف	1
الشلالة القبلية	1
مغرار الفوقاني	1
أربا الفوقاني	1
المدينة المنورة	130
بلاد ما بين النهرين	102
القدس	74
أربا التحتاني	13-1
سيدي أحمد بلعباس	-1
القاهرة	132-58-131
البقاع المقدسة	1
طلقة	84
عين ماضي	84
تيماسين	84
الكوفة	139
أغادير	80
ندرومة	80-74

عقلة الحمام	43
مليانة	36
سجلماسة	143-15-18
قسنطينة	74-21
موريطانيا	127-21-19
المغرب الأقصى	43-33-32-24-17-13
المغرب الإسلامي	30-28-17

رابعا:فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
كافينياكCavignac	أ-43
جبري الحبيب	د-97
إدريس الثاني	1
مولاي يوسف	1
مولاي علي الحنشي	2
بلية لعرج	2
عتبة ابن زغوان	5
فلامندFlamand	13-10
كارل شيتر بيتر	11
لوتlote	-12
أندري جوليان	13-12
استرابون	15
ابن خلدون	131-17
ديمونجو	19
موسى ابن نصير	26-25-24
عقبة ابن نافع	26-24
علي يحي معمر	32
هلال بن عامر	34
يغموراسن	35
محمد الثابتي	35

الباي محمد الكبير	142-40-39-36
أبي اسحاق إبراهيم المليانى	36
العياشي	125-84-37-36
أحمد التيجاني	142-83-42-41-40
السلان سليمان	40
أحمد بن يوسف المليانى	142-84-83-42-41
الأمير عبد القادر	56-52-47-44-43
رونوRenault	45
ديريوDRIEU	45
دي كولستين Di Colistine	45
دي كولومب Di Colombe	45
كولونيو دانسي Colonieu danci	48-46-45
أحمد بن دالة العامري	45
بوعمامة	51-49-48-47-46
مصطفى بن محمد الطيب بن يعقوب	47
ابن كعوان	47
إينوسونتي Inocenti	48
قرولGraulle	48

سويني Swiny	48	
لانيري Laniry	49	
الطيب بن حمو	49	
نيقري Nigrie	49	
العربي بن عزوز	50	
العربي بن كروم	50	
بن عنان	50	
بيزي Bezy	51	
جونار jonard	51	
أبي الحسن	74	
بلال	75	
عروة ابن الزبير	75	
ماكس في برشام Max vi bercheme	78	
عبد القادر الجيلالي	83	
عائشة	142-91-90-84-83	
مولاي الطيب	83	
أحمد المجذوب	142-84	
محمد بن سليمان بن بوسماحة	142-90-87-86-84	
أحمد بن أحساين التلمساني	87	
جبري الطاهر	97	
لوكاربيزي lukerbizi	102	

فليكس جاكو Felix Jacquot	106	
كورنوفانcornovane	127	
موني Mouni	127	
عمروبن العاص	131	
صلاح الدين الأيوبي	131	
سليمان أبو سماحة	142	
بن مسعود أولاد سعيد	117	
حفيان الحبيب	117	
بلية احمد	117	
أولاد سعيد بلية	117	
بلخير صلاح	117	
مباركي الجيلالي	117	
موسي البشير	117	
خنفار السالم	117	
جبارة عمارة	117	
جبارة حمو	117	
قزوز محمود	117	
كفوس السالم	117	
غانم محمد	117	
جبارة عمارة	117	
هبور أحمد	117	
قزوز قزوز	118	

قاضي عبد القادر	118	
قوراري	118	
بن صالح	118	
خليفة	118	
ميساوي	118	
حداد	118	
قاضي	118	

المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم (رواية ورش).

أولا:المصادر:

أحمد بن هطال التلمساني:

1-رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي،تحقيق محمد بن عبد الكريم ،ط1،عالم الكتب القاهرة،1969.

تقي الدين المقريزي:

2-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،جزآن

عبد الرحمان ابن خلدون:

3-المقدمة:كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر، ج1-2، الدار التونسية للنشر والتوزيع المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984.

4-تاريخ ابن خلدون: ج6دار العلم للملايين، بيروت 1981.

أبو عبد الله الشريف الإدريسي:

5- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،قارة إفريقيا والأندلس،تحقيق وتقديم إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر1983.

-ابن عذارى المراكشي:

6-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1دار الثقافة ،بيروت1980

علي الجزنائي:

7-جني زهر الآس في بناء مدينة فاس،تحقيق عبد الوهاب المنصور،المطبعة الملكية،الرباط 1967.

- **المسعودي :**

8-مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج1،ط4،دار الأندلس بيروت،1981.

ابن منظور:

9- لسان العرب ،المجلد الثالث ،تقديم يوسف الخياط ،دار لسان العرب بيروت ،بدون تاريخ .

ثانيا-المراجع:

إبراهيم بن يوسف :

1-إشكالية العمران و المشروع الإسلامي،مطبعة أبو داوود ،الجزائر1992.

أحمد فكري :

2-مساجد القاهرة ومدارسها المدخل،دار المعارف،مصر1951.

ألفت يحي حمودة، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة ، الدار المصرية اللبنانية،1987

إسماعيل محمود:

3-الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت1976.

أندري برنيان أندري توني،ايف لاكوست:

4-الجزائر بين الماضي والحاضر ترجمة اسطنبول لحراج ومنصف عاشور،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.

البهنسي عفيف :

5-الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه،ط1،دار الفكر،دمشق1983.

الحبيب الجنماني:

6-المغرب الإسلامي،الحياة الاقتصادية بين القرنيين 3ه-4 ه(9م-10م)الدار التونسية للنشر.

خليفة بن عمارة:

7- لمحة تاريخية عن الجنوب الجزائري الأعلى من الأصول إلى ظهور الإسلام5000ق.إلى القرن الثامن، ترجمة بوداود عمير،مكتبة جودي مسعود،وهران .

8-سيرة البوبكرية،تاريخ وهيجوغرافية الجنوب الغربي الجزائري ج1(القرن16،15،14) ترجمة محمد قندوسي مكتبة جودي 2002

رشيد بورويبة:

9-الفن المعماري الجزائري ج2، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974.

رشيد بورويبة:موسى لقبال،عبد الحميد حاجيات،عطاء الله دهينة

10- الجزائر في تاريخ العصر الوسيط،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1984.

صالح بن قربة :

11-المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1986.

عبد الرحمان الجيلالي :

12-تاريخ الجزائر العام،ج1،دار الثقافة، بيروت1986.

عبد العزيز السيد سالم:

13- تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، دار النهضة العربية بيروت 1981.

عبد القادر خليفي :

14- المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة،دار الغرب للنشر والإشهار،الجزائر 2004.

عبد القادر القصير:

15-أحياء الصفيح، دار النهضة العربية، بيروت 1998.

أبو القاسم سعد الله:

16- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشرا لهجري(16م-20م)ج1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

عبد الحميد زوزو:

17-ثورة بوعمامة1881-1882،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981.

أبو العيد دودو:

18-الجزائر في مؤلفات الرحّالين الألمان 1830-1855.

كريزول:

19-الآثار الإسلامية الأولى،ترجمة عبد الهادي عبل،دار قتيبة دمشق 1984

فرج محمود فرج:

20-إقليم توات خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر د.و.ج، الجزائر 1977.

فريد الشافعي :

21 -العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، الهيئة المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1970.

مبارك الميلي بن محمد :

22-تاريخ الجزائر في القديم والحديث،تصحيح وتقديم محمد الميلي، ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1982.

مبروك مقدم:

23-الاستيطان والتوطين بإقليم توات ،تديكلت،دار الغرب للطباعة والنشر،وهران،2003.

محفوظ قداش:

24-الجزائر في العصور القديمة ،ترجمة صالح عباد،المؤسسة الوطنية للكتاب 1993.

محمد حسين الجودي:

25-العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها ابتكاراتها،جمالياتها،ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان 1998م.

محمد الصالح مرمول:

26-السياسة الداخلية الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1983.

محمد الطاهر العدواني :

27-الجزائر في التاريخ منذ نشأة الحضارة، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

مصطفى أبو الضيف أحمد:

28-أثر العرب في تاريخ المغرب،خلال عصر الموحدين،وبني مرين،860ه-1130م،دار النشر المغربية،ط1،الدار البيضاء1983.

موسى لقبال :

29-المغرب الإسلامي،نشر مطبعة البعث،قسنطينة1969.

30-:المغرب الإسلامي (منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج،سياسة ونظم،نشر مطبعة البعث،قسنطينة1969.

مولاي بلحميسي:

31-الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ناصر الدين سعيدوني :

32-الشيخ المهدي بوعبدالي،الجزائر في التاريخ ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984.

يحي بوعزيز

33-تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ،من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين ،دار هومة،الجزائر2001.

-يونس نجاة:

34- المحارب العراقية ،بغداد1976.

ثالثا: الدوريات

-أحمد قاسم الجمعة:

1-أهم التأثيرات المعمارية الفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الإسلامي ،مجلة آداب الرافدين، العدد 9 أيول 1978.

بلعرج بوداود:

2-جوانب مضيئة من حياة رائد المقاومة الشعبية الشيخ بوعمامة ،جريد الخبر، السبت 24 ماي 1997.

حسن فتحي :

3-العمارة الإسلامية والذاتية ، واتصال الأرض بالسماء مجلة تنمية المجتمع العدد الأول السنة السابعة القاهرة 1982.

صالح بن علي الهذلولي:

4- المجتمع والعمران،المنهل ،العدد 454 المجلة 48 ماي –جوان 1987.

عثمان عبد الستار:

5- المفهوم الإسلامي لتخطيط المدينة ، المنهل العدد 454 المجلة 48 ماي – جوان 1987.

عبد المنعم أرسلان :

6-نشاة المئذنة ،مقالة بمجلة دار الملك عبد العزيز العدد الأول 1980.

محمد الكحلاوي:

7-عمارة المساجد،المنهل،العدد 454،المجلة 48 ماي- جوان 1987.

ناجي عبد الجبار :

8-مفهوم العرب للمدينة الإسلامية، مجلة المدن العربية العدد 14 1984.

رابعا :الأطروحات والرسائل الجامعية

الدكتوراه.

علي حملاوي :قصور منطقة جبال عمور ،من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري (16م-19م) دراسة تاريخية أثرية ،مخطوط دكتوراه جامعة الجزائر ، بدون تاريخ .

الماجستير:

بلحاج طرشاوي:

1-المآذن الزيانية والمرينية في تلمسان ،دراسة تاريخية وفنّية ،مخطوط مذكرة ماجستير ،جامعة تلمسان ،قسم الثقافة الشعبية،2002

عبد المجيد مباركي :

2-قصر مغرار التحتاني ،دراسة أثرية ومعمارية ،مخطوط ماجستير،جامعة تلمسان قسم الثقافة الشعبية 2001.

عيسى قوراري :

3--قصر تيوت ، دراسة أثرية ومعمارية مخطوط ماجستير جامعة تلمسان قسم الثقافة الشعبية ،2001.

المراجع بالفرنسية

Abd erahmane Moussaoui:

1- Espace et sacré au Sahara , ed sindibad 2000 .

Alfred bel:

2-Religion musulmane en berbérine Esquisse d'histoire et sociologie religieuse T1,paris 1938.

CharlES André julien:

3-Histoire de l'Afrique blanche Que sais – je ?puf 1976.

CharlES André julien:

4-Histoire de l'Afrique du nord des origines a la conquête arabe ,2me édition ,SNED 1980.

Denis Grandet:

5 -Architecture et Urbanisme, OPU 1982.

Djilali Sari:

6- L'insurrection de 1881-1882 SNED Alger 1981.

-George Marçais:

7- l'art musulman ED, PUF 1962.

H.Terasse:

8-Les mosquées des Andalouses Fès, paris 1920.

L.Lehuraux:

9- le conquérant des oasis, colonel theodore pein, paris 1935.

Noël:

10- Documents pour servir l'histoire de Hmayane et la région qu'ils s'occupent, B.S.G.O, T35 ,1915- 1916.

Rachid bourouiba:

11-l'art religieux musulman en Algérie, SNED, Alger 1981.

Segaud Bonvalet, C.Brun:

12- Logement et Habitat, l'état des savoirs, ED la découverte, paris 1998.

TITUS BURKARDT :

13-L'art de l'Islame ,sindibad,paris 1985.

Youcef Nacib:

14-Culture oasienne, Boussaâda Essai d'histoire sociale, ENAL 1986.

الدوريات

Cauvet :

1-les marabouts, revue Africaine n° 33 ,1889, opu.Alger.

F .Cominardi :

2- Au Coeur des monts des ksours, le ksar de chellala dahrania, H.T.M inrevue d'Architecture et urbanisme no2 Alger juin 1994.

Noël :

3- Documents pour servir l'histoire de Hmayane et la région qu'ils s'occupent, B.S.G.O, T35 1915- 1916.

S.Ben cherif et F.Kettaf :

4-Taghit entre le présent et le future, H.T.M.no2 Alger, juin 1994.

فهرس المحتويات

	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ-ه
مدخل	7-1
الفصل الأول: الدراسة التاريخية	8
المبحث 1:الشلالة الظهرانية ما قبل التاريخ	18-9
المبحث 2: الشلالة الظهرانية في العهد الروماني	22 -19
المبحث 3:الشلالة الظهرانية والفتح الإسلامي	35-23
المبحث 4:الشلالة الظهرانية في العهد العثماني	42-35
المبحث 5:الشلالة الظهرانية خلال الاستعمار الفرنسي	52-42
الفصل الثاني: العمارة الدينية	53
المبحث 1:المسجد	82-54
المبحث 2:الأضرحة	91-83
الفصل الثالث:العمارة المدنية	92
المبحث 1:المساكن	119-93
المبحث2:الشوارع	123-120
المبحث3:الرحبات	125-123
المبحث 4:السوق	129-126
الفصل الرابع:العمارة العسكرية	133- 130

المبحث 1-الأسوار والمداخل	140-134
المبحث2-الأبراج	142-140
الخاتمة	145-143
فهرس الآيات والأحاديث	148-146
فهرس الأماكن	153-149
فهرس الأعلام	158-154
المصادر والمراجع	169-159
فهرس المحتويات	171-170